الزَّيف

الزَّيف

رواية

هبة جمال

(بدل مفقود)

(صُنِعنا من تُرابِ من رحلوا عليهم رحمةٌ

ولنا المجدُ نحنُ الباقون)

الإهداء

إلى صبري الذي يقتلهُ الانتظار
إلى أجنة أحلامي وجدران عمري المتهشمة
إلى الأنا واللا أنا.

(الحرب)

جاءت كالإعصار قويةً إلى الدرجة التي استطاعت بها أن تقلبَ كل شيءٍ رأسًا على عقب.

طوال سبع سنوات وأنا أجري مكسور الأمل أتكئ على طموحاتي حتى لا أسقط مندفعًا، أتعثرُ بالواقع دون أن أستسلم، تشدني الظروف إليها فأفلت نفسي منها بصعوبة.

كلما ارتشفتُ من حلمي قليلًا تلاحقني الغصات حتى لا أدركه.

طوال سبع سنوات وأنا أرى الموت يبتلع الناس وأغمضُ عينيّ حتى لا تهبط عزيمتي

أسمع احتضار أحلام غيري فأغلقُ أذنيّ حتى لا يحزن حلمي عليهم ويتحطم.

هناك في مكانٍ ما حيث ترتدي الفتنة ثوب الدين وتمايل؛ يضع الحب رأسه تحت التراب خوفًا ويمشي القتل متبخترًا فوق أفواه البنادق متراقصًا بين أسلحة الدمار.

في تلك الليلة المتسخِ سوادها من أفعال بعض البشر بَدت السماء مُغبرة كأنها أخذتَ تتلوث من أخطاءهم المتزايدة، لم يجد عامر وسيلة ليجني المال منها من أجلِ شراء الخمر وسجائر الحشيش المخدرة سوى زوجته (**ليلى**) فبعد أن هَوَى في طرقات الضلال أصبحت بالنسبة له شيئًا بلا قيمة كركنٍ مهجور من أركان المنزل لا يشعر بوحدته إلا نفسه، طالما طلبتً منه أن يُطلقها إن لم يكن يُريدها لكنه يرفض فلم يكن ليزدهُ طلاقها إلى خسارة بدفع مستحقاتها.

بعد طولِ تفكيرٍ التفت إلى ليلى: هيِّئي نفسك لنخرج.

نظرت إليه و قد ظنت أنها قد أخطأت في سماعه لأنها لم تخرج معه منذ مدة طويلة، منذ أن أصبح يعاملها كحائطٍ من حيطان المنزل **وقالت:** ماذا!؟.

قلب عامر نظراته في أرجاء المنزل مستاءً **ثم قال متنهدًا:** ألم تسمعي، قُلتُ لكِ هيئي نفسكِ سنخرج.

ليلى بحماسٍ: سأجهزُ نفسي على الفور.

عامر: إياكِ أن تتأخري

زار الفرح قلبها بعد طول غياب ظنت أن عامر بدأ يعود كما عهدتهُ في أول زِواجهما من سنتين، دخلت مسرعة إلى الغُرفة، بينما أخذ هو يفكرُ مهمومًا في الأموال التي خسرها أثناء مقامرته الأخيرة.

دينا دين المحبة دين السلام لكن ماذا إن شوَّه أحدهم الطريق إلى الجنة وصورهُ لطلابها بما يتوافق مع مصالحه، بعد حبٍ دام لأربعِ سنوات بين آدم وابنة جيرانه تولين؛ الآن أصبح يعتبر حُبهُ لها كُفرًا أخذَ ينكرُ عن نفسه ذكرياتهما ويطلب من الله عليها المغفرة، بعد محاولتها الاتصال به للمرةِ العاشرة أجاب، **كلَّمتهُ بنبرةٍ معاتبة:** لماذا تتجاهلني، هل سقط حبي من قلبك؟.

ردَّ مُرتبكًا: تولين ما الأمر، لمَ كُل هذه المكالمات؟

تولين: وهل من المشترط وجود سببٍ ليكلم حبيبان بعضهما، الحبُ يخلق من الصمت الكلام .

آدم: تولين أرجوكِ لا تُحرجينني وتتصلي بي مجددًا تفهَّمِي رغبتي إن حديثنا هذا حرامٌ في حرام.

تولين: حقًا؟!.. من قلبك تقول هذا الكلام؟.

آدم: إلى اللقاء.

ثم قال متنهدًا: استغفر الله العظيم.. يا رب ساعدني كي لا أقع في المعصية فأنا أنوي أن أُسخِّر نفسي في سبيلك.

أرسلت لهُ تولين رسالةً و دموعها تكتسح خديها كتبت فيها (**في نهاية هذا العام سنتخرج من الجامعة أنسيتَ كل ما خططنا له!، هل نسيت كم انتظرنا مرور السنين لنكون سويًا!، سأحترم رغبتكَ وأبتعد، ستندم وإن كان ندمُكَ سيأتي مُتأخرًا فخيرٌ لك أن لا تندم**).

ذاكَ الجدارُ الذي تستندُ إليهِ جعلَ من نفسهِ سُلَّمًا يكشفُ البعض فوقه خفاياك.

كان عامر يجتازُ طرقاتٍ معظمها خاوية بسيارتهِ المهترئة، بدأ الرعب يسري في قلب ليلى قالت لهُ خائفة: إلى أين نحنُ ذاهبان؟.

عامر: ابقِ صامتة سأخبركِ عندما نصل.

ليلى: أريد أن نعودَ إلى المنزلِ أرجوك أنا لست مطمئنة.

نظرت حولها لتجد العديد من الرايات السود التي كُتبَ عليها الشهادتين على جوانبي الطريق، أوقف عامر السيارة وقبل أن تستدير نحوه لتسأله عما يحدث قابلها بوضع منديل على أنفها حتى غابت عن الوعي.

باعها للمسؤول عن مركز السبايا في تلك المنطقة وعاد بجيوبٍ مليئة بالنقود.

هان عليه كل شيء باع المشاعر والإنسانية عندما أصبح ينظر للدنيا كحزمةٍ من النقود.

قُرِعَ باب منزلِ آدم فتحت والدته الباب وهي ترتدي ثوب الصلاة **ثم ابتسمت للقارع قائلة:** أهلًا يمان ادخل.

يمان: أهلًا بكِ عمَّتِي أين آدم؟

الأم: إنه في غرفته أرجوك يا ابني تحدث معه فهو يتغيرُ يومًا بعد الآخر إنه لم يعد متدينًا لقد أصبح متعصبًا صرتُ خائفةً عليه، تكلم معهُ لعلهُ يعودُ إلى رُشده.

يمان: أنا جئتُ خصوصًا للتحدث معه.

الأم: هيَّا اذهب إليه ريثما أحضِّرُ لكما العشاء.

أنهى آدم صلاتهُ وأجاب على صوتِ قرعِ باب غرفته قائلًا: ادخل.

دخل يمان ألقيا على بعضهما التحية، **تحدثَ يمان مترددًا:** لقد كلمتني تولين.

آدم: بصفتكَ من بالنسبةِ لها كلمتك؟

يمان: بصفتي ابنُ خالكَ الأكبر منك وصديقك المقرب، هل تغارُ عليها مني؟

آدم: لا، لكن هذه الفتاة أصبحت تتخطى حدود الدين والأدب.

يمان: ما بكَ يا رجل ماذا حدثَ لعقلك هل تحجرَ قلبك، لقد حدثتني لعلي أردُكَ إليها إنها تُحبك.

آدم: لا أريدُ أن أسمع هذا الكلام.

يمان: أنا بالفعل متعجب من أمرك، الفتاة التي كنت مستعدًا لقتلِ أي شخصٍ يسيءُ لها بكلمةٍ أنت اليوم تسيءُ لها.

آدم: لم أُسيء لأحدٍ لكن تصرفاتها أصبحت غير محتملة.

يمان: بصراحة يا آدم أنتَ من أصبحت غير محتمل وإن بقيت هكذا لن تخسر تولين فقط ستخسر جميع من حولك.

خرج يمان من الغرفة غاضبًا متجهًا نحو الباب الخارجي، **خاطبته والدة آدم:** أين ستذهب لقد حضَّرت العشاء.

يمان: شكرًا عمتي سأتناولهُ معك في مرة أخرى.

عاد أدراجه وهو يتحدثُ في نفسه (**يا إلهي لقد غُسِلَ عقله بالكامل، لن يدرك قيمة الشيء حتى يفقده**).

دخل عامر إلى منزله بدل ملابسه وارتدى ثيابًا خاصة بالنوم وقام بكشف غطاء السرير ليبدو وكأن أحدهم كان نائمًا، وعند انتصاف الليل بدأ بتمثيل مسرحيته ليلعب دور الضحية بجدارة كي لا يشُكَ أحدٌ أن له يد في اختفاء ليلى، توجه إلى منزل عائلتها الذي لا يبعد عن منزلهِ كثيرًا، قام بقرع الباب بقوةٍ حتى استيقظ بعض الجيران وأخذو يطلُّون من النوافذ والشرفات لمعرفةِ ما يجري، **فتح آدم الباب ونظر إليه بغضبٍ قائلًا:** لماذا تطرقُ الباب بهذه الطريقة.

عامر: أينَ شقيقتكَ؟

آدم: ليلى!، لم تأتِ إلى هُنا.

صرخ عامر بصوتٍ ملأ الحي: أخبرني ماذا يعني أن أستيقظ في منتصف الليل ولا أجدُ زوجتي في المنزل، أين تكون قد ذهبت!.

أمسك آدم عامر بقوةٍ من سترته قائلًا: ماذا تعني أيها الوغد؟ ربما احتاجت لشراءِ شيء ما .

عامر: في منتصف الليل ستخرج!، أظنها تملك عشيقًا وقد ذهبت إليه.

أخذ آدم يلكمه بقوة بينما يحاولُ هو الدفاع عن نفسه، تدخل بعض الجيران لإنهاء الشجار، دخل آدم ليرى والدته تجلس على

الأرض **وتلطم بكفيّ يديها وجهها قائلة:** يا للفضيحة.. ماذا فعلت يا ليلى.. ماذا فعلتِ.

خاطبها وعيناه تكادان تذرفا الدمع: هذه نتيجة تربيتك الخاطئة، لو ربيتها بشكل صحيح على الدين والأخلاق لما فعلت هذا.

هل يموت الحب هل تُقتلُ الذكرى!، في صباح يوم شاحب بكت فيه السماء حزنًا على ما يحدث لأهل الأرض، خًرج آدم من منزله متوجهًا لمنزل عامر لم يكن يقوى أن ينظر في عيون سكان الحي، صادف في طريقه تولين التي خرجت متوجهةً نحو الجامعة، نسيت كل التعاسة التي سببها لها في الأيام الماضية ولم تستطع إلا أن تبتسم فرحًا لرؤيته، تجاهل النظرَ إليها فاقتربت منه **وقالت:** صباحُ الخير.

أجابها دون النظر إليها: صباح النور.

تولين: لمَ لا تنظرُ إليّ هل صرتُ قبيحة أم يوجدُ بمظهري شيءُ معيب.

آدم: وكيف أنظر لكِ وأنت بهذه الثياب والشعر والوجه المكشوف.

نظرت إلى ثيابها باستغربٍ ثم قالت: ألا ترى أنني أرتدي معطفًا طويلًا فضفاضًا ومنذ متى وهيأتي لا تُعجبك.

آدم: عندما تكونين محتشمة ولا تُظهرين من نفسك إلَّا حد الرؤية عندها سأنظرُ لكِ.

تولين: حدَّ الرؤية!.

تركها واقفة وتابع طريقه نادت إليه بصوتٍ مرتفع فالتفت إليها، انتزعت العُقد الذي في عنقها والذي كان هديةً منه اتفقا أن لا تخلعها أبدًا وألقت به على الأرض ثم أوقفت أحد المركبات المتجهة نحو المدينة وصعدت دون أن تنظرَ إليه، بقِيَ لبضع ثوانٍ ينظرُ إلى العقد، فما فعلته يدلُ أنها لم تعد تريده أيضًا ثُمَّ اَستغفر ربهُ وأكملَ طريقه.

بينما كان عامر نائمًا هو وضميره قُرِعَ الباب بقوة ليستيقظ هوَ ويبقى ضميره غافيًا، فتحَ وهو بالكاد يفتح عينيه ليرى آدم **الذي استقبله بالسؤال:** هل عادت ليلى أو علمت عنها شيئًا.

عامر بصوتٍ ناعس: لا لم تعد وإن عادت لن أستقبلها في منزلي مجددًا.. وداعًا.

وأغلق الباب بقوة في وجه آدم فاضطر أن يبقى صامتًا كي لا يزيد فضيحتهِ أمام سكان الحي.

بعد ليلةٍ قضتها ليلى بالبكاءِ والنحيب على ما حلَّ بها في غُرفةٍ أشبه بالسجن بين العديد من النساء اللاتي دفنِتهُنَّ الحياة وهُنَّ أحياء كحالها؛ هدأت وركنَ حالها وكأنَّ دموعها قد جفت لم تجد ملاذًا لها غير الدعاء (**يا إلهي خَلصني من ما أنا فيه.. يا إلهي أتوسلُ إليك إن كنتُ أحلم فأيقظني قبل أن أموت وأنا نائمة.. يا رب أرجوك أن تُدبرَ لي مخرجًا من غامض تدبيرك..**).

قاطعتها امرأة ترتدي ثيابًا سوداء وتحمل على كتفها بندقيةً **قائلة:** أنتِ أيتها الجديدة استعدي في المساء لتنظيف المهجع بأكمله.

أومأت ليلى برأسها إشارة الموافقة فلم يكن لها خيارٌ إلا أن تفعل ما تؤمرُ به بعد أن أفهمتها أحدُ النسوة قبل وقت ليس بقليل أن عقابها سيكون أقسى من الموت إن رفضت الطاعة، نهضت الدموع في عينيها من جديد وأخذت تكفكفها براحتي يديها و هي تكملُ دعاءها و توسلها إلى الله.

تُرى هل تموت الأماني؟، هل تُزهقُ الأحلام بيدَيّ من عانقها يومًا متوسلًا إليها أن تتحقق؟!، بعد حوالي مرور شهر على اختفاء ليلى، بعد فجر ذاك اليوم أخذَ آدم يتأهب لأن يخلعَ عاره

الذي تسببت به شقيقته، علَّقَ قلبه جانبًا، نَسِيَ كُلَ الوعود وأنكر أجملَ الذكريات، **هَجرَ غُرفته بهدوءٍ تاركًا ورقة كان قد كتب فيها** : «**أمي أنا اليوم سأبدأُ الجهاد لأشق طريقي إلى الجنة لعلي أُكفِّر بهذا عن كل أخطائي في الدنيا التي ارتكبتها سابقًا ولأهرب من عارِ ما فعلته ليلى؛ سأنضم لجنود الدولة الإسلامية آملًا من الله الشهادة**».

في المعظم يكون سفاحونا هم الأقرب إلينا، يُمَثلونَ بأرواحنا، يُجرِّعوننا حفنة من الأمل ثُم يسقوننا خلفها بحرًا من الإخفاق .

صباحًا بينما كانت أمُ آدم تقوم ببعض الأعمال المنزلية وهي وَهِنةٌ كعجوزٍ في المئة تقول في نفسها والدموع تغصُّ في عينيها «**لماذا فعلتِ هذا يا ليلى**»؟.. لا أصدقُ أن ابنتي المدللة قد أطاعها قلبها في أن تُضحي بسُمعتنا الحسنة في سبيل رغباتها.. لقد كان عامر اختيارِكِ أنتِ .. لماذا فعلتِ هذا؟

قاطع شرودها صوت رنين جرس باب المنزل توجهت نحوه **وفتحته لتجد تولين التي ابتسمت لها قائلة:** صباح الخير سيدتي.. كيف حالُكِ.

تنهدت أم آدم وردت قائلة: الحمد لله.. ادخلي يا ابنتي.

تولين: جئتُ لأخذكِ معي إلى المنزل ولا مجال للرفض فوالدتي تدعوكِ لتناول الإفطار معنا.

أم آدم: حسنًا ادخلي ريثما أُعدُ الإفطار لآدم ثم نذهب سويًا.

تولين: اطلبي منهُ أن يأتي معنا ستكون والدتي مسرورة إن قَبِلَ المجيء.

أم آدم: اجلسي عزيزتي سأدخل لإيقاظهِ وأطلب منهُ الحضور.. أتمنى أن يقبل فقد بات انطوائيًا في الفترة الأخيرة.

جلست تولين على الأريكة في الصالة وتسارعت دقات قلبها وهي تنظرُ باتجاه غُرفته آملةً أن يخرجَ مع والدته؛ تدعو أن يقبل الدعوة فرغم كُلِ الجفاء الذي أبداهُ لها لكن ما زالت رؤيتهُ كفيلةً ببث الفرح في قيعان نفسها، تَجَمَدَ الدم في عروقها عندما سمعت صوت صراخ والدتهِ وبكائها، دخلت مسرعة إلى غُرفتهِ لتجدَ والدته تجلسُ على الأرض ممسكةً بيدها الورقة، **قالت والرعب يستوطنها:** ماذا حدث!.

تناولت الورقة من يدها و ثارت في عينيها الدموع عندما قرأت محتواها، **خاطبتها والدتهُ بصوتٍ بالكاد يتجاوز حنجرتها:** أرجوكِ.. اتصلي به.. أريد أن أتحدث إليه.

ساعدت تولين أم آدم على النهوض وأجلستها على السرير وجلست بجوارها ثُمَّ أخرجت جوالها من جيبِ بنطالها القطني

وقامت بالاتصال به تلألأ الأمل في عينيها عندما سمعت رنين الهاتف وأن هاتفه لم يغلق بعد، **نظرت إلى والدتهِ بفرح قائلةً:** إنهُ يرن.

تناولت الأم الهاتف من يدِ تولين بيدها المرتجفة لكن آدم كان يأبى أن يجيب على الاتصال حاولا الاتصال مرارًا وتكرارًا **حتى أجاب فرَدَ بصوتهِ الحازم:** ماذا تريدين ألم أُخبركِ أن لا تتصلي بي.

أجابت الأم باكيةً: حبيبي آدم أنا والدتكَ أرجوك عُد إليّ لا تذهب لم يبقَ لي غيرك في هذه الدنيا.. أرجوك يا آدم ليسَ لي أحدٌ من بعدك.

آدم : أمي لقد اتخذت قراري بالخروج من الباطل الذي تعيشونه.

الأم: يا بُني ألا تذكر أنك قد وعدتني بعد وفاة والدكَ وزواج ليلى أنكَ لن تتركني أبدًا.. أرجوكَ يا حبيبي أتوسلُ إليك.. على الأقل عُد وخذني حيثُ تذهب لا تتركني وحيدة.

آدم: أمي لم يعد ينفعُ هذا الكلام الآن .. أنا لن أعود.

كادت الأُمُ تغرق في دموعها من شدة البكاء، أخذت تولين الهاتف من يدها وتحدثت بغضب يغزو الحزنُ ثناياه **وتختبىء بين ستائرهِ آلاف الدموع:** آدم عُد لا تكن أنانيًا.. عُد رأفةً بوالدتك.

آدم: لا تُثيران غضبي لم يعد يُمكنني التراجع سأكون سعيدًا في الطريق الذي اخترته.

تولين: أنتَ شابٌ غبي أنا أكرهك.. هل تسمعني جيدًا أنا أكرهكَ الآن، لتذهب إلى جهنم إن لم تعد الآن فلا تعد أبدًا.

أنهت تولين المكالمة وعيناها تُمطرُ بالدموع، حضنت والدتهُ التي كانت تقولُ بحسرةٍ: لقد توسلتُ إليه.. هانت عليه دموعي من أين أتى بكلِ تلك القسوة.. انتظرته أن يكبر هو وشقيقته، رفضتُ الزواج بعد وفاة والدهما كان يكفيني من كل هذه الدنيا أن يبقيا بجواري فتركاني وحيدة.. ماذا أفعلُ الآن من دونهما .. كيف تمكنا من التخلي عني بكلِ هذه السهولة.. يا إلهي ساعدني أعطني الصبر يا رب.. أعطني الصبر يا رب.

تولين: آملُ أن يغير رأيه ويعود.. ما زال هناك أملٌ بعودته.. أرجو من الله أن يغير قراره.

رنَّ هاتفُ تولين النقال فأمسكتهُ بلهفةٍ ظنًا منها أن آدم يتصلُ ليبلغها بتغير قراره لكنها كانت والدتها نظرت إلى أم آدم بخيبةٍ قائلةً: إنها والدتي ماذا أقول لها؟.

أم آدم: لن أستطيع الذهاب معكِ، اعتذري لها قولي أنكِ وجدتني أتناول الطعام عندما أتيتِ.

تولين: حسنًا خالتي. حاولي أن تهدأي .. عليَّ الذهاب الآن لن أتأخر حتى أعود.

أم آدم: أرجوكِ يا ابنتي لا تخبري أحدًا بما حدث لعله يعود، لا أريد أن تتعرض حياته للخطرِ إن عاد.

تولين: لا تقلقي لن أُخبرَ أحدًا.

تسكع في طرقاتِ الفراق يتيمًا، يتسول بين عهودٍ هاجرت وأُخرى أُتلفت، يتضرع إليها لتمنحه تذكرة جديدة، فعندما تنتهي تذكرة الإقامة في قصر تلك المدينة الحمراء؛ يحينُ الموعد ليتخلى العاشقُ عن زيِّ الشموخ ويرتدي ثوبَ التشرد، فبقدرِ بهاء قصره يكونُ قُبحُ موطنه الجديد وبقدر علوه يكونُ وقعُ الهبوطِ مؤلمًا.

لم يستطع أن يُنكرَ حبهُ لها حتى بعد زواجها تساؤلات أخذت تأكلُ رأس يمان بعد اختفاء ليلى

كان يظنها تحبهُ في الماضي إلى أن أغلقت باب الودِ بينها وبينهُ وتزوجت من عامر، رُبما لو لم يسافر في تلك الفترة للعمل لما غَمرها الجفاء ولكانت زوجتهُ الآن، لكنه سافر ليجني المال ويؤمن لها حياةً كريمةً تملؤها الرفاهية، كان يعلمُ أنها ليست سعيدةً مع زوجها، سأل عنها في المشافي ومراكز الشرطة بعد اختفائها لكن لا أثرَ لها ، يخطرُ في باله سؤالٌ (**أيعقلُ أنها تحبُ**

أحدًا وذهبت معهُ كما قال عامر..، لا لا أظن ذلك لن تفعلَ ليلى هذا.. ماذا لو فعلت بنفسها مكروه !).

تذكرَّ آخرَ مرةٍ رآها منذ حوالي خمسة أشهر، في صباحِ ذلك اليوم كان جالسًا يشربُ القهوة مع آدم في صالةِ منزلِه حينَ اتصلت به أم تولين وطلبت منهُ أن يجلب لها جرَّة الغاز من عند البائع إلى منزلِها، سرَّح شعره ثم بخَّ من العطر الذي طالما أحبَّت تولين رائحتهُ وخرجَ طالبًا من يمان أن يبقى في المنزلِ لحينِ عودته.

قُرِعَ باب المنزل قام بفتحِه ظنًا منه أن آدم قد عاد، لكنهُ لم يكن آدم بل الفتاة التي أحبها ولا زالَ يُحبها، ابتلعت ليلى دموعها وارتبكت حين رأته بينما ظلَّ هو واقفًا ينظرُ إليها، دخلت قائلةً دون أن تدعَ عينيها تلتقي بعينيه: كيفَ حالُك؟.

ردَّ: بخير .. اجلسي ريثما تأتي والدتكِ أو آدم.

ليلى: أينَ ذهبا؟

يمان: إنهما في منزلِ جيرانكم.

خيَّم صمتٌ موحشٌ وكأن الجالسَّين غُرباءٌ، لم يكن يومًا كلٌ منهما أقربُ للآخر من قلبه، قاطعها يمان سائلًا:

ـ هل أنتِ بخير؟

ـ نعم بخير.

ـ هل وجدتِ السؤال الذي طالما كنتِ تسألينه؟

ـ أيُّ سؤال؟

ـ هل يبقى الحبُ بعد الزواجِ كما كان قبله؟

ـ تزوج حبيبتكَ واكتشف بنفسك الجواب.

ـ لم أستطع أن أتزوجها.

ـ لماذا؟

ـ لأنها تزوجت غيري.

نهضت من مكانها: لقد تأخرت والدتي وآدم سأعود إلى المنزل أراهم لاحقًا.

اقترب منها: لا تهربي كما اعتدتِ .. ابقِ هنا أنا من سيذهب.

أمسك وجهها بقوةٍ ونظرَ إلى عينيها: سيأتي يومٌ وأُخرِجكِ مني كما فعلتِ.

ثُمَّ غادر مغلقًا خلفهُ الباب بقوة، كثيرةٌ هي الأسئلة التي كان ينوي طرحها عليها منذُ زمن، لكن في كلِ مرةٍ يراها يتلاشى كلُ شيءٍ في ذهنه.

خَرَجَ من ذكراه إلى واقعه مجددًا، أوقف سيارتهُ أمام شركتهِ ثم تنهد ساندًا رأسه على المقعد (**كُنا لنكونَ معًا الآن لو لم تفعل ما فعلت، لم أكن لأعيش في حدود هذه الرقعة البالية، أتخيلُ أنها كانت ستكون زوجة رائعة، حتى لو لم تكُن سأراها أنا كذلك، يُشرقُ نهاري بابتسامتها ويستكين ليلي بالنظرِ إلى رموش عينيها الغافيتين،**

آهٍ ماذا أقولُ أنا، لقد قتلتْ هذا الحلم بإرادتها وأغلقت كُل الأبواب في وجه الفرح إلى قلبي).

في إحدى زوايا المهجع ذو الجدران القاتمة كانت تجلس ليلى مع ندى وهي فتاة فاتنة لم تتجاوز عامها العشرين تتبادلان أطراف الحديث.

ندى: لقد ذكرتِ أنكِ أحببتِ شخصًا قبل زوجكِ النذلِ لماذا افترقتُما؟ليلى : لم أحبهُ فقط، إنه شيءٌ أكبرُ من الحب، كنتُ أكبرُ بحبه ترعرعتُ بينَ يديه كما تتفتح الورود بين أحضان الربيع، لكن خريفي كان قاسيًا؛ فقد تساقطت وعوده من أشجار كذباتهِ التي أنبتها في عقلي وهبت ريحُ خيانتهِ في كُلِ زاويةٍ من زوايا قلبي حتى دموعي حينها لم تكن نقيةً بل مشبعةً بغبار الخذلان فبتُّ لا أدري بماذا أحس، كان تحولًا لم يشهدهُ كياني من قبل، تحولًا من موسم الربيع إلى موسم التحطم، حين أصبح الوقت مناسبًا لعلاقةٍ رسمية أخبرته أن يحدِّثَ والدتهُ لتتحدثَ مع والدتي بشأننا مضت فَترة وفي كُلِ مرة أحدثهُ بالأمر؛ تارةً يقول لي حدَّثْتها وتارةً سيحدثُها حتى بدأتُ أرتابُ إلى أن حدثتني والدتهُ وقالت لي أنها قرأت محادثتنا على الهاتف منذُ فترة وأنهُ لم يسبُق له أن حدثَها بشأننا وأرسلت لي صورتهُ مع فتاة كانا قريبين من بعضهما بشكلٍ يثيرُ الشك وأخبرتني أنها تعملُ معهُ

خارج البلاد ويريدُ خطبتها، أوصتني أن لا أخبرهُ لأنها أرادت نصيحتي كي لا أهدرَ عمري في انتظاره، شعرتُ أن قلبي سيخرجُ مع دموعي، كانَ هو مسافرًا حينها ، وقد كان عامر يحاولُ التقربَ مني منذُ فترة فأتحتُ لهُ المجال وتمت خطوبتي منهُ قبلَ عودةِ يمان من السفر.

ندى: وهل تزوجَ من تلك الفتاة؟

ليلى: لا، والغريب أنه حتى بعد أن تزوجت في كلِ مرةٍ أراهُ أشعرُ بأنهُ يحبُني.

ندى: ماذا إن كانت والدتهُ كاذبة؟

ردت ليلى بحزنٍ: ومن ستكونُ تلك الفتاةُ في الصورة؟، ولماذا كان يربكهُ موضوعُ خطوبتنا؟.. يوجدُ شيءٌ غير منطقي.. أعلم أنني تسرعتُ بالزواج لكن لم يعد يفيدُ الندم أخبريني ما قصَّتُكِ أنتِ.

ندى: أنا أصلي من قرية ساحلية من قُرى الشمال وكما تعلمين نحنُ كفارٌ بنظرِ هؤلاء الحثالة.

قاطعتها ليلى: كنتُ أظنُّكِ من منطقتنا، تشبهين فتاةً أعرفُها كثيرًا نفس لون العينين الرماديتين ولون البشرة.

ندى: هل هيَ قريبتُكِ؟

ليلى: ابنةُ جيراننا، أخي يُحبُها كثيرًا، عندما كُنا ننظف كلُّ قليل أوشكُ على ندائكِ باسمها.

ابتسمت ندى: ما اسمها؟، حتى أعلم أنكِ تنادينني إن أخطأتِ.

ليلى: اسمها تولين.. صحيح أنا آسفة على المقاطعة أكملي.

ندى: كان النهارُ شاحبًا في ذلك اليوم، كُنَّا أنا وأمي وشقيقي الصغير في المنزل، كان أبي مسافرًا إلى القرية للعناية بجدتي لأن حالتها الصحية كانت سيئة، نظرتُ من النافذة لأجد أفراد التنظيم قد أصبحوا في الشارعِ الذي نسكنُ فيه، كادت الأنفاس تتجمدُ في عروقي، دخلت والدتي مع شقيقي ونظرنا جميعًا إلى بعضنا بهَولٍ لم نستطع أن ننطقَ بحرفٍ كُنا نراقبُ مصيرنا من النافذةِ كيفَ يقيدون النساء ويقتلون الرجال وقاموا بحرقِ بعض الأطفال إلى أن خلعوا باب المنزلِ لأننا لم نقم بفتحهِ، كنا جالسين جميعًا في زاويةِ الغُرفة وأمي تغمرني أنا وشقيقي بيديها، دخلوا إلينا وانتزعوا شقيقي من بين أيدينا ثُمَّ أُسرنا أنا ووالدتي، توفيت والدتي(رحمها الله) منذُ فترة؛ لم تحتمل وحشيتهم ولا أعلمُ شيئًا عن شقيقي، آملُ أنهُ بخير وها أنا أنتظرُ أجلي.

حضنت ليلى ندى بعد أن بدأت الدموعُ تبللُ خديها: يا إلهي، ما كانَ عليَّ أن أسأل.

لم أكن أتألم لفراقهم فحسب، كانَ تغيبهُم موجعًا كأن يمسك أحدهم قلبك ويشطره إلى نصفين، كغريبٍ كانَ يومًا أقربُ منكَ إليك، ليس لأحرفٍ أن تعبرَ عن كلِ تلك الخيبة، كانوا قاتلين كأفعى تُفرِغُ فيكَ السمَّ ثُمَّ ترتدي ثوبَ البراءة.

دخلت والدةُ تولين إلى غُرفَتها، جلست على السرير بجوارِ ابنتها الشاحبة كالأموات (**هيَّا يا ابنتي انهضي لنتناول الغداء لقد عادَ والدُكِ من العمل، منذُ فترةٍ وأنتِ في الغُرفة سيحزنُ منكِ إن لم تخرجي لاستقباله**).

- حسنًا سأخرُج.
- غريبٌ أن خال آدم أبو يمان إلى الآن لم يستطع معرفةَ شيءٍ عنهُ على الرغم مِن رتبتهِ الرفيعة في الجيش، أعلمُ كم أنتما صديقان مُقربان، الحمدُ لله أنكِ لم تذهبي معه يومها إلى الجامعة كما جرت العادة، مسكينةٌ والدتهُ فقدت في البداية ليلى والآن فقدت آدم.
- سأخرج لإلقاء التحية على والدي والجلوس معه قليلًا ثُمَّ سأذهبُ إليها.
- حسنًا حبيبتي، إذا نام والدكِ بعد الغداء سأذهبُ معكِ.

لم تخبر تولين أحدًا عن حقيقةِ اختفاء آدم، كانت بحاجةٍ لأن تصرُخ لأن تملأَ الكون بنحيبها، صوتٌ داخليٌ كان يهاجمُها

يصفعُ قلبها بقوةٍ ويلكمهُ ثُمَّ يقفُ عاجزًا عندَ حُنجرتها، لم يكن لديهِ القوةَ أن يخرُجَ منها بقدرِ ما كان بارعًا في تعذيبها.

كلَّما اقترب ليرتوي اكتشف أن ما جرى إليهِ بكلِ ذاك الاندفاعِ كانَ سرابًا، وأن كل ما تعلقَ به كانَ وهمًا أخذَ حبلهُ ينقطعُ بِه شيئًا فشيئًا ليسقطَ على واقعٍ من حقيقة، كانَ مستلقيًا فوقَ سريرهِ بعد عودتهِ من إحدى المهام، لم يستطع النوم على الرغم من استيقاظهِ طوالَ الليلةِ الماضية، أخذَ المشهدُ يتكررُ في ذهنهِ كلما اقتربَ من أن يغفو(**كانَ الوقتُ باكرًا ذهبَ مع مجموعةٍ من الرجال لمداهمةِ منزلٍ بعدَ تلقيهم خبرًا بأن مالكهُ خائنٌ يقومُ بتسريبِ معلوماتٍ عن التنظيم، خلعوا باب المنزل ، أمسكَ آدم الرجلَ وأخذَ يلكمهُ حتى سقطَ على الأرض ثُمَّ أخذَ يدفعهُ بقدمه، اقتربت ابنتهُ التي لم تتجاوزِ العشر سنوات منه و أخذت تدفعهُ بذراعيها الغضتين باكيةً (ابتعد عن أبي..ابتعد عن أبي**) .

أثارت الفتاةُ الشفقةَ في قلبه لكنَ ما مزقهُ حُزنًا هو أن أحدَ الرجال قام بدفعها أرضًا ثُمَّ أطلق على رأسها رصاصةً أبقتها ساكنةً مكانها.

أخذوا الرجلَ الذي كانَ يئنُ حزنًا على ابنته ودماؤه تغطي وجهه، بينما بقيَ آدم واقفًا مكانهُ؛ لفتَ انتباههُ الهاتفَ المحمول الموضوع على مأخذ الكهرباء ليتمَ شحنهُ فوضعهُ في جيبهِ مع

الشاحنِ دون أن يَراهُ أحد، ثم دخلَ ليلقي نظرة إلى الغرفِ الداخلية حينَ شاهدَ في أحدها قائدَهُم يقتربُ من زوجةِ الرجلِ التي كانت ترتجفُ خوفًا وهو يهددها أنه سيقتلُها إن أصدرت صوتًا يُسمع.

خرجَ من المنزلِ مُرتبكًا ثُمَّ صعدَ إلى السيارةِ التي يقودها، كانَ ينتظرهُ فيها أحدُ الرجال، قال للرجل: لم يذهب القائد مع المجموعةِ التي قبلنا، مازال في ذاك المنزل هل سننتظرُه؟.

الرجل: لا عندما يرغبُ في العودة سيبلغُ أحدًا من الرجال ليأتي إليه.

نهضَ من سريرهِ تأكدَ بأنه قد أقفلَ باب المنزلِ الذي أُعطِيَ لهُ ليسكُنَ فيهِ جيدًا ثُمَّ أخرجَ الهاتف من جيبِ معطفه، قام بتشغيلهِ ظهرت صورةٌ على خلفية الشاشة للرجلِ وزوجتهِ وفي الوسط طفلتهما كانَ من الواضح أنها عائلة سعيدة، لم يكن الهاتفَ يحتوي على شريحةٍ للاتصَال، طُرِقَ البابُ فأخفى الهاتف وقام بفتحه خاطبهُ الطارق (**سينفذُ بعدَ قليلٍ حدُ الرجمِ على الرجلِ الخائنِ، ألن تأتي؟**).

آدم: كنتُ في مهمةٍ طوالَ الليلة الماضية، عليَّ أن أنام قليلًا قبلَ موعدِ نوبتي.

وضع الرجلُ كف يدهِ على كتفِ آدم: باركَكَ الله يا رجُل.

يا بُني ستعلمُ حينَ تستضيفُني نجوم السماءِ لأقيمَ بينها وتطردني ملائكةُ هذه الأرضِ من جسدي كم أحببتُك، العجيب أن الجميعَ لا يمنحون الحبَ المستحقَ لمن يُحبونهم إلا عندما يصبحون جثامين هامدةً.

وقفت تولين ووالدتها أمامَ منزلِ آدم، تطرقانِ البابَ مرارًا و تكرارًا دون إجابة، اتصلت تولين بيمان فقد قلقت على حالِ أم آدم التي لم يُسمع لها حسٌ منذُ البارحة، **أجابها:** أهلًا تولين كيفَ حالكِ؟.

تولين: بخير الحمدُ لله، هل عمتُكَ أم آدم في منزلكم؟ أو هل تعلمُ أينَ هيَ؟

يمان: أنا في طريقي إلى منزلها، هي لم تقم بزيارتنا.

تولين: أخشى أن يكونَ قد حصلَ لها مكروهٌ في الداخل ولم يشعر أحدٌ بذلك منذُ البارحة لم تفتح الباب لي، واتصلت والدتي بها على الهاتف لم تُجب.

يمان: دقيقتين وسأكونُ عند منزلها أنا في السيارة.

تولين: نحن في انتظارك لا تتأخر.

وصلَ يمان ملهوفًا قامَ بخلع البابِ بقدمهِ بينما أخذَ بعضُ الجيرانِ يراقبُون من الشرفاتِ والنَوافذ ما سيحدث ويتهامسون ،

انطلق إلى الداخلِ فتبعته كلٌ من تولين ووالدتُها، ارتعدَ الدمُ في عروقه عندما رأى عمتهُ مستلقيةً على الأريكةِ وعينيها مفتوحتين وصورَ أفرادِ عائلتها منثورةً بالقربِ منها، كانَ من الواضح أن ذكرياتِ تلكَ الصورِ قد قتلتها، لمعت في عينيه الدموع واقترب منها مغمضًا عينيها بكفِ يدِه، دخلت تولين في نوبةِ بكاءٍ هستيرية لم يكن سببها فقط أنها تحبُ والدتهُ كوالدتها بل لأن كل شيءٍ جاءَ عكسيًا كما لم تتوقع، اقتربت والدتها منها بحزن وهي تكفكفُ دموعها (**هوني عليكِ يا ابنتي .. ليرحمها الله**).

أخذهُ الحلمُ إلى أقصى رقعةٍ في قلبه، إلى حيثُ كان يتجاهل (**نزلَ من الحافلة التي كان ذاهبًا بها لينتمي للتنظيم وعاد إلى منزلهِ، كان الحيُ فارغًا على الرغمِ من أنهُ لم يمضِ إلا ساعاتٌ منذُ غادره، طرقَ باب منزلهِ ففتحت له تولين كانت ترتدي ثوبًا أسودًا وشعرها قد شاب، ما إن رأتهُ حتى ارتمت بين ذراعيهِ معانقةً إياه (كنتُ أعلمُ أنكَ لن تخذلني، كنتُ في انتظاركَ واثقةً من أنكَ ستعود**) قرَّبها منهُ وأخذَ يستنشقُ عطرها (**تعلمين بأني أحبُكِ، لماذا أصبحَ شعركِ أبيضًا!**).

- لأنني أحببتك.

سقطت من بينِ ذراعيه فأمسكها واضعًا إياها على الأريكة (**ما بكِ**).

رفعت ثوبها قليلا وأظهرت قدميها (**انظر كيف تآكَلَتا وأنا واقفةٌ أنتظرُكَ خلف الباب**).

ـ لكنني عدتُ فورًا.

أخفضت رأسها حُزنًا (**لا لقد تأخرت.. لا أظنني قادرةً على المشي من جديد**).

سمع صوتُ نحيب والدتهِ يصدرُ من غُرفتهِ (**يا إلهي إن والدتي تبكي سأذهب إليها لترى أني قد عُدت**).

ـ والدتكَ ليست هُنا.

ـ بلى أنا أسمعُ صوتها إنها تبكي.

توجه إلى غرفته لكن عندما فتحَ الباب لم يجد أحدًا، ثم أصبح الصوت يصدر من غرفةِ ليلى، مضى وقتٌ وهو يلاحقُ صوتَ البكاء لكنهُ لم يجد أحدًا.

عادَ إلى حيثُ ترَكَ تولين لكنهُ لم يجد إلا ثوبها).

استيقظَ من هذا الكابوس بجزعٍ وحواسهُ مُرتعدة، أخذ يدلكُ بيدهِ عنقه فقد شعر أنه سيختنق، كأَنت المرة الأولى التي يشعرُ أنه يحملُ ذنب ما فعل بعد ما كان مقتنعًا بشكلٍ تام بالخطوة التي آتى بها (**يا إلهي.. ما هذه الأحلام التي لم تغادرنيٍ مؤخرًا.. ساعدني يا رب.. آمل أن تكون تولين ووالدتي بخير**).

بعد أن مضت أيامِ نصحوا بها على صوت خيبة وننام على بكاء حلم، بعد كلِ تلكَ السنين التي أشعرنا بها خذلانها.. أين أصبحنا؟ من نكون؟

تقودنا مبادئٌ لم نؤمن بها يومًا وتدفعنا أسبابٌ نحن مَن اختلقناها.

كان يمان يتناول الطعام مع والدته شاردًا، توقفت والدتهُ عن الأكل (**إلى متى ستبقى بدون زواج، ألم تقتنع بعد أن ليلى لم تكُن فتاة مناسبة ! أرأيت لمَ لم أكن أريدها زوجةً لك**).

تأفأف مقاطعًا إياها (**أمي أغلقي على هذا الموضوع**).

قلَبَت نظراتها يمينًا ويسار ثم تنهدت (**لقد سوَدت وجه عائلتها وقتلت والدتها، هل تستحقُ ما تفعلَه بنفسكَ لأجلها**).

غادر الطاولة (**كلُ ما حدثَ بسببكِ لو خطبتها لي منذ أولُ مرة طلبتُ منكِ ذلكَ لما حدثَ شيء، سأخرج من المنزل وأبي لن يأتي الليلة كوني سعيدةً لوحدك**).

كُنا يومًا هُنا والآن أصبح ما كُناه قابلًا للحلم لا للإعادة.

افترقنا، ما يجمعني بك الآن هو الذكرى تُرى هل تجمَعكَ بي !، أم أنكَ ببراعتكَ في الهجرانِ تمكنتَ من النأي عنها، قاطعُ الرحمِ في النار فيا قاطعَ القلبِ ما مصيرُك؟!.

خرجت تولين مع والدتها من منزلها مُسرعةً بعد أن اتصل بهم الرجلَ الذي يعملُ لديه والدهُا كسائقٍ وأخبرهم أنه قد تعرضَ لحادثٍ، التفتت تنظر بحسرةٍ إلى بابِ منزلِ آدم الذي أصبح وحيدًا وكأن لعنةً قد أصابته.

وصلت ووالدتُها إلى الغرفةِ الموجودِ فيها والدها، ركضت نحوهُ وجلست بقربهِ على السرير طابعةً قبلةً على جبينه (**كيفَ حالُكَ يا أبي؟ ماذا يؤلمُك؟**).

- إنها رضوضٌ بسيطة لا تقلقي يا حبيبتي.

اقتربت والدتها منه (**هل أنتَ بخير**).

- قلتُ لكما بخير

لا تقلقا، حبيبتي تولين كيفَ حالُ دراستكِ؟.

- (**بخير يا أبي لم يبقَ الكثير لأتخرجَ من الجامعة**) قالتها بحزنٍ واضحٍ تغصُّ بهِ عيناها.

- ما بكِ يا ابنتي عليكِ أن تفرحي لهذا.

دخلَ رجلٌ على مشارفِ الأربعين وسيم الوجه رزينُ الهيئة، يبدو عليهِ الثراءُ، وجَّهَ نظرهُ إلى والدِ تولين (**كيفَ تشعر؟**).

- الحمد لله بخير.

تابع وهو ينقلُ نظراته من ابنته لزوجته (**هذه ابنتي تولين وهذه زوجتي .. إنهُ السيد أكرم مالكُ السيارةِ التي أعملُ عليها**).

نظرَ إلى تولين مُعجبًا بملامحها الناعمة وعينيها الرماديتين اللتين زادهما انعكاس الضوء المواجهِ لوجهها جمالًا وبريقًا، ثُمَّ أعاد نظراتهُ إلى والدها (**يوجدُ سيارةٌ في الخارج تنتظركَ لتعود فيها مع عائلتكَ إلى المنزل، عليَّ الذهاب الآن**).

رد الوالدُ وهو يشعرُ بالامتنان (**شكرًا سيدي سأعود للعملِ فورَ تحسن حالي**).

خلف تلك الحدود سقطت الإنسانية تحت ذاك الرداء الأسود وكأنهم قد غلفوا به قلوبهم قبل أن يكسوا به أجسادهم.

كانت ليلى تجلسُ كعادتها في رُكنها القريب من زاويةِ الغُرفة شاردة في ذاكرتها، اقتربت منها ندى (**أينَ وصلتِ بأفكاركِ؟**) همست في أذنها.

ـ تُرى هل نعود؟.

قالتها بغصةٍ ثُمَّ أكملت (**أتمنى أن أعود اشتقتُ لأُمي، لآدم ويَمان، ليتني أعود وتعود علاقتي بيمان كسابقتها**).

ـ لا أعلمُ إن كنتُ حقًا أرغبُ بالعودة، بداخلي انكسارات أخشى أن يحولها ذلك العالم إلى فُتاتٍ بقسوته أفضِّلُ أن أموت هُنا قريبًا، لم يبقَ لي سوى والدي وأظنُ أن مكروهًا أصابه بعد ما حلَّ بنا. أجابتها ندى ثُمَّ تنهدت.

قاطعت حديثهما امرأة دخلت ترتدي لباسًا أسود بيدها قائمة من الأسماء، كالعادة حينَ تدخلُ هذه المرأة؛ كلُّ فتاةٍ من الفتياتِ في المهجع تتمنى أن لا تحوي القائمةُ اسمها.

لكن لسوء الحظ كان من بين الأسماء اسمُ ليلى، نهضت ندى وخاطبت المرأة هل ليلى ستقضي أيام ثُمَ تعود؟ أم تمَ شراؤها؟

- لقد تمَ شراؤها وسيأخذها معهُ المجاهدُ الذي طلبها إلى دولةِ العراق.

أجابت بأسلوبٍ فظ ثم نظرت إلى الفتياتِ قائلةً: عشر دقائق وسآتي لاصطحابكن، إياكن أن تتأخرَ إحداكن.

تجمد الدمُ في عروق ليلى وهجمَ الذعرُ نحوها، وسعت عينيها برعبٍ (**ماذا سيفعلونَ بي؟ إلى العراق! هذا يعني أنني سأموتُ دون أن أعودَ لعائلتي**).

وضعت ندى راحتي يديها برفقٍ على وجه ليلى (**عليكِ أن تكوني قوية.. هيَّا سأساعدكِ في الاستعداد للذهاب**).

اجتاحتها موجةُ بكاءٍ هستيرية (**لا أريدُ أن أذهبَ لأي مكان**).

- هذا لا يفيدُ يا ليلى سيعذبونكِ ويأخذونكِ رغمًا عنكِ، اختصري على نفسكِ هذا العناء.

حاولتُ تهدأتها وساعدتها على ارتداء الجلباب والنقاب، عانقتها وموكبُ الدموعِ يسير (**إن خرجتِ يومًا ما اذهبي لعائلتي**

وأخبريهم بما فعلهُ عامر بي، حدِّثي يمان وأخبريهِ أنني طالما أحببته، إن التقيتِ بفتاةٍ لديها احتمالٌ بالخروج أخبريها بقصتي وعنوان عائلتي لا أريدُ أن أموت ويبقى ما حلَّ بي سرًا).

ـ لا تقلقي سأعمل جاهدةً على هذا.

منحتهُ قلبي طفلًا فأعادهُ لي هَرِمًا مصدع الجدرانِ على وشكِ التحطم، وحينَ ألقيتُ بهِ لأقتلَ حبهُ الذي لا زال يستوطنهُ؛ جَرَحت بقاياه قدمي فلم أعد قادرةً على المضيِّ نحو المستقبل فكلما وضعتهما على الأرضِ لأتابعَ الطريقِ تُذكرني ألامهما بما حدث فتتعثرُ خطواتي وأسقُطُ مجددًا.

بينما تجلسُ تولين في غرفتها حولَ الطاولةِ تُرغِمُ نفسها على الدراسة، فقد كان دافعها الوحيد للدراسةِ بعد ما فعلهُ آدم هو التخرج للعمل وإعالةُ عائلتها، سمعت رنين الهاتف الأرضي خرجت للإجابة، كان صوتًا غريبًا على مسمعها، **ما إن سمعَ صوتها حتى قال:** مرحبًا تولين كيفَ حالكِ؟

ـ بخير لكن منَ المتحدث؟ـأنا السيد أكرم رأيتكِ في المشفى، أتذكرين؟ـ نعم، هل والدي بخير، هل حدثَ لهُ مكروه .قالتها بلهفةٍ.

ـ والدكِ بخير لكن أنا مَن ليسَ بخير، أنتِ جميلةٌ لدرجة أربكت قلبي، أنا رجلٌ ناضجٌ وليس غرضي التسلية أو إهدارُ الوقت، صحيح بأنني متزوج لكنني لستُ سعيدًا أشعرُ بأنكِ ستكونين مصدر سعادتي.

ارتبكت وأغلقت الهاتف، ثم توجهت إلى غُرفتها وقد احمرت وجنتاها خجلًا، لربما انتابها بعضِ الفرح من الغزلِ الذي لم تسمع مثلهُ من مدةٍ طويلة، لكن خيوطًا من الماضي كانت تسحبُها إليه وتفتحُ لها عينيها رغمًا عنها لتنظرُ إلى ذكرياتها مع آدم ثُمَّ تشي لعقلها بنفسِ السؤال (**كم كنتِ ستكونينَ سعيدة لو لم يتخلَ عنكِ ويذهب ؟**) فينتزعُ هذا السؤال الدموع من عينيها وتهبُّ عاصفةٌ من الكآبةِ في قلبها.

وإني أخاف أن يسبقَ الموت انتظاري فلا أراك..

كان وقتُ الغروب دخلت ليلى خلف الرجل (كريم) إلى منزله كان شابًا في منتصف العشرينات من العُمر تشعُ القسوة من عينيه، الآن بدأت بإيقان أنه لا أمل لها في أن تعود لكن ما كان يخيفها أكثر هو المجهول الذي ينتظرها، وقفت كالجماد حين رأت امرأة يبدو على وجهها آثار ضربات حتى يكاد الدم يخرج منه، **صرخَ الرجل بِها:** أعدِّي الطعام ريثما استحم وأبدلُ ثيابي .

دخلَ إلى غرفتهِ، فتح بابها بمفتاحٍ كان في جيبه، جلست ليلى حيثُ كانت تقف بينما دخلت المرأةُ(ابتسام) لِتعدَّ الغداء، كانت تشعرُ كأن قلبها ينبضُ في معدتها أخذت تعتصرُ يديها ذُعرًا، قلبت نظراتها في المنزل كان فيه غُرفةٌ غير غُرفةِ الرجل (لماذا يقفلُ غُرفتهُ ؟، من هذه المرأة تُراها زوجتهُ أم شقيقتهُ؟، ما الذي فَعَلته حتى يبدو أنه قد ضربها بوحشية). أسئلةٌ كانت تخطرُ لها.

أنهت المرأة وضع الأطباق على الطاولة، ثم خاطبت ليلى بأسلوبٍ فظ (تعالي معي).

دخلتا إلى الغُرفةِ الأخرى، أخرجت ثيابًا من الخزانة ورمتها في وجه ليلى (خذي حمامًا سريعًا وانزعي هذه الثياب القذرة، إياكِ أن تتأخري)، ثم التفتت لتخرج.

لكن أين غرفة الاستحمام من فضلك؟، قالتها بصوتٍ مُرتبك.

هُنا، ردت وهي تشيرُ إلى بابٍ موجودٍ ضمن الغرفةِ نفسها.

استحمت وكأنها تستحم بدموعها، خرجت من الحمَّام وهي تسرحُ شعرها ثم نظرت إلى نفسها في المرآة المعلقة (يا إلهي إلى أين وصلتْ؟ ماذا فعلتُ كي أتجرع كل هذا العذاب، كم كانت حياتي جميلة، الجميع كانوا يرونني مميزة وفاتنة إلى أن تزوجت وأودى بي ذاك النذل إلى هذا الجحيم).

لمع الدمع في عينيها، قاطعتها المرأة بغضبٍ (**ألم أخبركِ أن تأتي بسرعة!**).

- هل يوجدُ غطاء أغطي به شعري؟ـ لا تكثري الكلام، تعالي قبل أن يُحضركِ بطريقته، قالتها بسخريةٍ.

خرجت المرأة و ليلى خلفها تحاولُ أن تتماسك وهي بالكاد تقفُ على قدميها، كان جالسًا يتناولُ الطعام، رفعَ نظره إليها حين أتت، جلست على الكرسي وما إن أمسكت بالخبز لتبدأ الطعام فقد كانت تتضور جوعًا، **حتى خاطبها الرجلُ بكلِ برود:**

(**من سمحَ لكِ بالأكل ؟**).

همست المرأة (**أخبرتكِ أن لا تتأخري**).

آسفة، قالتها بصوتٍ مبحوحٍ تعلوه الغصة، تركتْ الخبزَ من يدها، ووقفت لتغادر المائدة.

صرخَ قائلًا (**اجلسي، لكنكِ محرومة من الطعام**).

أنهى طعامه ثُمَّ نظرَ إلى الساعة على الجدار.

- عليَّ الذهاب بعد قليل سأعود بعدَ قرابة ساعتين هيئيها وألبسيها لباسًا غير هذا، أخبريها ما يجب عليها أن تفعله كي لا أزهقَ روحها.

خاطب المرأة التي كان كُرهها لهُ ظاهرًا في عينيها.

تغيرتُ حتى كدتُ أنساني، أشتاق للتي كُنتها، كان احتضارها قاسيًا، أتدري عناء المخاض في قلبها حتى تولد على فمها ابتسامة، جفَّ البريق في عينيها حتى تصحرت، خنقت الحياة قلبها وصفعت عقلها ثُم ماتت وأحيتني.

طُرقَ باب غرفةِ تولين بينما هي مستلقية، نهضت والتفتت نحوه (**ادخل**).

دخلَ والدها وجلس بجوارها (**كيفَ حالُكِ يا ابنتي**).

- بخير يا أبي.
- أريدُ أن أحدثكِ بأمرٍ هل لديكِ متسعٌ من الوقت؟- بالطبع يا أبي، تفضل.
- لقد حدثني السيد أكرم بشأنكِ، إنهُ يرغبُ في التقدم لخطبتكِ، إنه متزوجٌ وليسَ لديه أطفال كما أنني أعملُ لديه منذ زمن لم أرَ منهُ سوءًا، أعلم أنه أكبرُ منكِ بكثير لكنهُ رجلٌ طيب سيؤمِّن لكِ حياةً بالغة الرفاهية.

أخفضت رأسها كان الحزنُ يلوحُ في ملامحها، ربَّتَ والدها على شعرها (**لا تحزني، أنا فقط أخبركِ والقرارُ لكِ، لن أضغط عليكِ أو أقومَ بإجبارك على مالا ترغبين**).

ثم طبعَ قُبلةً على جبينها (**فكري وأخبريني بقرارك، تصبحين على خير يا حبيبتي**).

لم أتمكنِ من تهريب روحي منك، كلما أحتضنها لنمضي رفضتني ، بلاكَ أشعرُ بالترابِ الذي خُلقتُ منه يوجِعُني تُرابي، يُضنيني شوقي إلى شتاءِ عينيكَ لأُزهر.

وصلَ يمان إلى مطار دبي الدولي فيِ الإمارات كان عليهِ الإشراف على بعضِ الأعمالِ هناك، علَت الابتسامةُ وجهه، عندما رأى الفتاة َالتي كانت تنتظرُه، كانت غاية في الأناقة والوسامة ، ركضت نحوهُ وعانقته (**يمان الحمد لله على سلامتك، كيفَ حالُك ؟**).

دمَّعت عيناها، وأخذت نفسًا عميقًا وكأنها كانت تتنفسه.

- (**سحر، ما هذه المفاجئة!، يا إلهي كم مضى من الوقت على لقائنا الأخير، كيف علمتِ أنني آتٍ ؟**)، قالها و هو ينظرُ إلى عينيها.
- إنني أسألُ سامي عنكَ كُلَّ فترةٍ لأطمئن إلى حالُك.
- لماذا لم تحدثيني؟ـ كنتُ أنتظرُ مجيئك أحببتُ أن أجعلها مفاجئةً وأحدثكَ وجهًا لوجه، هيَّا لنذهب سنتحدثُ في السيارة.

وضع السائقُ الحقائب في صندوق السيارة، جلست هي ويمان في المقعد الخلفي.

- لم أكن أظنُ أنني سأراكِ مجددًا، لقد كنتِ في المرة الأخيرة حازمة بشأن مغادرتكِ وتركِ كلِ شيءٍ هُنا، كيفَ حالُ خطيبكِ هل تزوجتما؟-لا، انفصلنا لم أستطع أن أُحبه.
- تدرين؟، أعلمُ أنني جرحتُ شعوركِ بصراحتي فيما سبق، لكن لا أنكرُ أن الأوقات التي تمنيتُ فيها أن تكوني بجواري لا تُعد، لطالما كنتِ صديقتي المُقربة، لطالما احتجتُ حضنًا يُجرِّدني من ألمي.
- ماذا حدث؟، لماذا لم تتزوج الفتاة التي كنتَ تُحبها؟، قالتها وتنهدت.

ردَّ بحسرةٍ: (**أصبحت من الماضي منذ زمن، تزوجت من غيري لسببٍ لا أعلمه، ربما أخطأ اختياري**).

وضعت يدها فوق يده (**لا بأس لقد جهزت أنا وأصدقائنا سهرة كسهراتنا السابقة ستنسيك الدنيا**).

شدَّ على يدها (**شُكرًا لأنكِ عُدتِ**).

- لا أستطيعُ إلا أن أعود.

في ذلك القبو المظلم الفاصل بين الموت والحياة يعيش الكثير من حطام أشخاص خلَّفتهم الحروب الحسية، ماكثين

فيه يبحثون عن النسيان، كيف لهم أن يلوذوا به وهم يسكنون الماضي رافضين المُضيّ نحو المستقبل، فتمضي أعمارهم وهم أشخاص يرفضون الاندماج حتى مع ذاتهم ليأتي وقت يتحسرون فيه على ما فعلوه بأنفسهم في غفلةٍ من أواخر خريف أعمارهم؛ فتكون يقظةً متأخرة دون أن يتركوا في هذه الدنيا أثرًا يدل على أنهم كانوا فيها يومًا .

بينما كان كريم عائدًا إلى منزله صادف في طريقه رجلًا عجوزًا يمشي حانيًا، لم يكن هذا الرجلُ غريبًا عنه إنه أستاذهُ في الصغر نظرَ الرجلُ نحوه فاستدار كريم للجهةِ الأخرى كي لا يتعرَّف الرجلُ إليه، تذكَّرَ طفولتهُ الموحشة حينَ جاءَ هذا الأستاذ إلى منزلهِ بعد وفاةِ والده، لم ينسَ كلماته كانَ يقول لزوجةِ أبيه (**إن كريم ذكيٌ ولديه سرعةُ بديهة عالية أتنبأُ له بمستقبلٍ رائع، يجبُ أن يكملَ تعليمه يا سيدة كي يصبحُ رجلًا ذا قيمة عندما يكبر وسيعينكم حينها**).

- يجبُ أن يُساعدنا في مصروفِ المنزلِ بعد وفاةِ والدهِ.
- لكن يا سيدتي إنَّ راتبَ والدهِ يصلُ لكم كلَ شهرٍ حتى بعد وفاته، لا يجوزُ أن تفعلي هذا بالطفل.
- لو سمحت يا أستاذ رجاءً لا تتدخل أنا مسؤولةٌ عنهُ وأعلم ما المناسب.

غادر الأستاذ غاضبًا، كانَ كريم يرتجفُ خوفًا منها، أغلقت الباب خلفَ الأستاذ بقوةٍ ثم توجهت نحوهُ محدقةً بهِ، أمسكتهُ من شعرهِ وأخذت تلوح بجسده الهزيل (**ذهبتَ تشكوني لأستاذكَ أيها الحقير غدًا ستذهبُ للعمل، والآن ستُمضي ليلتك في غُرفةِ الاستحمام دونَ طعام، وإن سمعتُ صوتَ بكائك الذي يشبهُ صوت أنين الكلب سأقتلع عينيك**) ما كان يزيدُ ألمه هو تصرفُ ابنتها التي كانت تضحكُ كأنها تشاهدُ فيلمًا كوميديًا.

انتفضت جوارحهُ حقدًا على كلِ شيء من هذه الذكرى، فتحَ باب المنزلِ ودخلَ ضاربًا الباب بقدمهِ بقوة.

نظرت ابتسام إلى ليلى وقد هيئتها كما طلب منها كريم قبل أن يذهب، كانت تبدو غايةً في الجمال (**لقد جاء الوضيع**).

اقتربت منها ليلى وأمسكت يديها (**أرجوكِ ساعديني، افعلي شيئًا لا أريد أن أبقى معه لوحدنا**).

- لقد ساعدتكِ بنصائحي، إنه جلادُ التنظيم في هذه المنطقة، هل تعلمين ما أعنيه؟، سيقتلكِ دون أن يُحرك شعورًا لذا كوني مطيعة، لقد فكرت بقتله لكنه قد أوصى أحد أصدقائه أن يقتلني إن لحقَ به أيُّ أذى، إنه يجبرني على تناول الطعام قبل أن يأكله كي يتأكد من خلوه من السم يقفلُ باب غُرفتي في الليل ويُبقي

باب غُرفتهِ مقفولًا طوال الوقت، إنه وحش لقد دمَّرَ حياتي.

سقطَ قلبُها هرعًا عندما فُتحَ الباب، أشار لها كريم بالخروج ثمَّ أقفل الباب على ابتسام.

كانت تمشي خلفه بوَجل، فتح بابُ غرفتهِ (**ادخلي**) ثم دخلَ خلفها مُقفلًا الباب، جلس على السرير (**اجلسي**) جلست جوارهُ وهيَ تعتصرُ يديها،

ـ طلبتُ منكِ أن تجلسي لكن ليسَ على السرير، قالها بغضبٍ.

جلست على الأرض مخفضةً رأسها والدمع ينهلُّ من عينيها، أمسكَ وجهها ورفعهُ إليه (**لو كنتُ أعلمُ أنكِ بهذا القبحِ لما أحضرتك**).

زارتها ابتسامة وسط غَمِها تذكرت يمان كان يقولُ لها دومًا عندما تبدو بغاية الجمال أنها قبيحة.

شدَّ بكفِّ يدِه على وجهها، وشدَّ شعرها بيده الأخرى (**ما الذي يضحككِ؟ هل تسخرين مني ؟**).

ـ لا ، لم أقصد تذكرتُ شيئًا فقط.

أخذ يرفعها نحوهُ من شعرها (**عندما تكونين معي، تبقين معي دون شرود**).

سرتُ خلف سرابٍ حتى غدوت عطشًا في منتصف صحراءٍ تنتهي بصحراء، ذاك البٍركان ما إن وصل إلى السفح حتى انطفأ، ما إن تمزقت ستائرُ إيماني حتى تآكلت عيناي من شناعة ما رأيت.

(**يا إلهي لم أعد أستطيع النوم ما هذه الكوابيس التي تراودني منذُ مُدة، يجبُ أن أحصلَ على شريحةٍ هاتفية بطريقةٍ ما أريد أن أطمئن إلى والدتي وتولين**).

نهضَ من سريرهِ أخذَ نفسًا عميقًا ثمَ غادر خارج المنزل، صادف أحدَ الرجال الذي خاطبه (**لماذا لم تنم؟ لديكَ مناوبةٌ بعد قليل**).

- لم أستطع النوم ، سأتمشى قليلًا.
- لا بدَ أن الوحدةَ تؤرقك سآخذكَ غدًا إلى مركز السبايا واختر ما يعجبُك.
- فكرةٌ جيدة فأنا حقًا مللت الوحدة.

كانت تشعرُ أنها تمشي فوق قلبها، ذاك الرتق في روحها هتكته الصلابة المنبثقة نحوها.

اصطحبها إلى غرفةِ ابتسام ، كانت تشعرُ أن جدران المنزلِ تقترب منها لتعتصرها وأن سقفه قائمٌ فوق صدرها، جلست جاثية على ركبتيها قبلَ الباب ودخلت في نوبةِ بكاءٍ هستيرية، اقترب كريم منها وشدها من زندها ليدخلها، وضعت يدها على عنقها ثم أخذت تسعلُ وتقول بصوتٍ منقطع (**أنا أختنق**) .

- يكفي تمثيلًا انهضي، أمسكها من ذراعيها بقوةٍ، لكن صوتَ الصفيرِ الذي كان يخرجُ وصدرها الذي كان ينقبضُ ويتسعُ بشكلٍ ظاهر أقنعه بأنها لا تكذب.

فتحَ باب غُرفةِ ابتسام التي كانت نائمة، أمسكها من كتفها وشدَ بعزمٍ (**انهضي**) .

فتحت عينيها مذعورة (**ماذا هناك؟**).

- الفتاة لا أدري ماذا حدثَ لها انهضي وساعديها.

نهضت وشاهدت ليلى التي تكاد أنفاسها تنقطع (**ماذا سأفعلُ لها إنها لا تستطيع التنفس، يجب إحضارُ الطبيبة بسرعة**).

خرجَ مُسرعًا من المنزل، طرقَ باب منزلِ الطبيبة بقوة، فتحَ زوجها باستياء(**ماذا هناك؟**).

- أحضر زوجتك هناك حالة طارئة، إنها حالة اختناق أخبرها أن تحضر الأدوات المناسبة لهذا.

- سُرعان ما حضرت الطبيبة، بقيَ زوجها وكريم ينتظران خارج المنزل، قامت بالإجراءات المناسبة ثم خرجت.

- ما بها ؟، سأل كريم.
- إنها نوبة ربو حادة كانت ستموت لو تأخرنا قليلًا، أبقيتُ عندها بخاخًا لتستعمله عندما يحدثُ معها شيءٌ مشابه، لا يجبُ أن تشمَّ الروائح أو تتعرضَ لإجهاد نفسي.

كان يومًا طويلًا وشاقًا أحست ليلى وكأنه سنة ما إن استلقت علىِ السرير في غُرفةِ ابتسام حتى نامت، دخلَ كريم إليهما ممسكا البخاخ المنسي في الصالة ألقى بنظرهُ عليها كانت جفونها منتفخة من البكاء ثم خرجَ مقفلًا الباب.

علَّقَ معطف الذكرى على مشجب الماضي وأخذ يرتدي الحاضر، بدأ يثأرُ من حزنهِ الذي عطَّبَ أيامه الماضية، أخذَ يخرجُ من مقبرةِ الأحلام التي كان يسكنها ويرثيها.

كانت سهرة في مكانٍ باذخ، الأطباق وكؤوس المشروبات بأنواعها تملأُ الطاولة، الأغاني هادئةٌ وصالةٌ للراغبين في الرقص، أمسك يمان يد سحر ودعاها للرقص، كان قلبها يتراقصُ معها (**لم أستطع أن أحبَ سواك، في كلِ محاولةٍ لنسيانكَ كنتُ أقع في حبك من جديد، تعلقتُ بكَ وأنا أعلم أنكَ لفتاةٍ أخرى، لكني لم أستطع، ألا يقولون أن المحبة من الله ! إذا كان الله من زرعَ حُبكَ في قلبي كيفَ سأستطيعُ بضعفي أن أقتله**).

- أنا لم أعد لأحد، وليس هناكَ أحدٌ أكثرُ منكِ استحقاقًا بأن أحبه.
- لكن الحب ليس قرار، الحب يفرضهُ القلب.
- أصبحتُ أحبُ من عقلي قراراتُ القلبِ الفاشلة.

هل كُنتَ تَليقُ بالحُبِّ؟

هل كُنتُ أستحقُ الفراق؟

أصبحتُ ألعنُ سذاجتي حينَ أحببتُك.. أتوسلُ ما فقدتهُ مني أن يعود.. أحاولُ بنائي من جديد.. أحاولُ إعادة إعماري.. وأنا اليوم أقوى وأنا اليوم أصلب.. تعلمتُ عدمَ إسراف الشعور.. كنبتةِ صبارٍ على حافةِ الموت مددتُ إليكَ ذراعيَّ لتسقيني.. أوجعتني أشواكي، قتلني هواني، أدركتُ حينها أنني أكثرُ استحقاقًا منكَ بساقيةِ العشق التي حرمتُ منها نفسي ومنحتُكَ إياها، أخذتُ أرويني بها أخذتُ أنجو بحبِ ذاتي.

(كلُ شيءٍ كنتُ أنتظرهُ لم ينتظرني، الأصح أنه لم يُردنِي، هل سأقضي عُمري أتخبط في قضبان السجن الذي حكم عليَّ آدم أن أعيش فيه، أكرم رجلٌ وسيمٌ وثريٌ وأنا لم يعد لديَّ ما أحلمُ به أو أسعى إليه، ربما كتب الله لي حياةً أفضل معه، حياة رفاهية لم أحلم أن أعيشها يومًا، سيكون لي منزلٌ فخمٌ أنا سيدته وربما

سائقٌ خاصٌ بي، سيأخذني معه في مناسبات العمل كما يحدثُ في الأفلام، لكنهُ متزوج !، وإن كان متزوجًا هذا لا يُهم فأنا لا أحبُه، ماذا بشأن زوجته، مؤكدٌ أنها ستحزن، لا يُهم، راحتي أهم من كلِ تلك المشاعر الخفقاء).

خرجت من غُرفتها، كانت والدتهُا قد حضَّرت الإفطار، ابتسمت لوالدها بخجلٍ (**أنا موافقة**).

أحتاج بعض نسائم الماضي لتلاطف أعماقي، بعضهم ينسى الماضي ليستمر وأنا أعيش الماضي كي لا يقتلني الحاضر، اعتادت أن تُغني عندما يغلبها الوَجْد كانت تُفرِغُ ما يُثقلُ صدرها صوتيًا، والآن أصبح صوتها عجوزًا يخشى أن يُخرِجَ منها مواجعها كي لا يقطعوا أحبالهُ الوَهِنة.

كانت ليلى جالسةً حول المائدة بجوار ابتسام تستذكرُ فترةَ الصباح مع عائلتها قبل زواجها، في الجهةِ المقابلة كريم، كانت تخشى أن ترفعَ نظرها نحوه .

طقطقت ابتسام أصابع يدها ثم قالت بارتباكٍ لكريم (**أنا حامل**).

توقفَ عن الطعام نظر بعينيه مطولًا نحوها بغضبٍ، قام وتوجه نحوها، أمسك الكرسي و قلبهُ وهِيَ تجلسُ عليه.

(**أرجوك، أحضر لي دواءً أو عشبةً وسأتخلص من الجنين**).

أخذ يركلها بقدمهِ على بطنها (**ألم أُخبركِ أنني لا أُريدُ أطفالًا أيتها القذرة**).

اقتربت ليلى منهُ أمسكته من ذراعه لإبعاده عنها بلطفٍ متوسلة (**أرجوك لا تفعل هذا**)، دفَعها بقوةٍ موقعًا إياها أرضًا، بقيَ يضربُ ابتسام حتى كاد أن يُغمى عليها.

دخلَ إلى غُرفتهِ من جديد بينما كانت ليلى تساعد ابتسام، من كان يدري ما الذي يحدثُ في تلك الحجرةِ المغلقة، كان الوحشُ الذي يسكنه يكادُ ينفثُ النار ليحرق كلَّ شيء، أما ذاك الطفلُ اليتيم اختلسَ النظرَ من كفنهِ بعينيهِ الدامعتين كأنه يقول أغلق باب تابوتي فضوء الحياة يلَذعُني.

انهال بالضربِ عليه، لا تنظُر نحوي أيها الجبان، لا تنظر، مُت أيها الوضيع، حفرتُ لكَ قبرًا منذُ سنين، منحتُكَ الرحمةَ من عذابهم، لماذا لم تمُت حتى الآن.

كانَ يلهثُ كالمجنون، أخرجَ السجائرَ من حيثُ كان يُخفي أخذَ يشعلُ الواحدةَ تلو الأُخرى ثُمَّ يطفئها بجسدهِ، كما اعتادت زوجةُ أبيهِ أن تفعل، كأنها استُبدِلت انسانيتهُ برمادِ تلكَ السجائر.

وكان حبي لكَ كضوءِ شمسٍ انعكس على قطعةِ قماشٍ سوداء، لم يستطع أن يخترق غشاوة قلبكَ ليعيد تنظيفهُ من جراثيمه وغباره بل عكس سواده ضوء شمسي لتحرقني، ففي كل مرة أرسل حبي إليك أزداد احتراقًا.

أخذَ آدم يقلبُ الدفترَ الذي يحوي صور السبايا ومعلوماتهم في إحدى المراكز لاختيار واحدة، استوقفته صورةُ ندى شعرَ أنها تشبهُ تولين بعضَ الشيء فقام باختيارها، ما إن وصلا إلى منزلهِ حتى قام برفعِ النقاب عن وجهها، استرجعَ خطواتهُ إلى الخلف عندما رأى عَينيها، للحظاتٍ جاء في باله أن تولين تقفُ أمامهُ ورجلٌ غريبٌ يحاول التقربَ منها (**أنا آسف**) قالها مُرتبكًا .

لم تفهم ندى غرابةَ تصرفاتهِ لكنها تعاملت ببلادة.

جلسَ على الأريكةِ حانيًا يسندُ رأسهُ بيديه (**يا إلهي سأُجن**).

ظنَّ أنه سيهربُ بما تبقى منهُ بعيدًا عن الذاكرة وفي كلِ مرةٍ كان يجدُ نفسهُ في طريقٍ بعيدٍ عن النسيان.

مضى قليلٌ من الوقت وهو يجلسُ بنفسِ الطريقة .

ندى: ماذا عليَّ أن أفعل؟.

رفعَ رأسه وقد ظهر أثرٌ للدمعِ في عينيه ثمَّ أشارَ إلى إحدى الغُرف (**يمكنُكِ أن تبقي في هذه الغُرفة، أوصدي الباب جيدًا عندما أكون في المنزل فأنا أتحولُ لشيءٍ لا أدري ماهيتهُ أحيانًا**).

كيف لنا أن نوجزّ مشاعرًا لو أطلقناها لأطاحت ارتفاع السماء بعمقِ الأرضِ في أربعةِ أعرُف.

طُرقَ بابُ شقةِ يمان، فتح الباب، إنها سحر، ألقت عليه التحية، لم تكن تصدقُ أنها رأتهُ من جديد، وأكثرَ ما كان يُسعدها هو بريقُ الأملِ الذي لاحَ لها بهِ كلامه كان هناكَ احتمالٌ قوي ليبدأَ معها علاقةً أقوى من الصداقةِ فيجبرَ كُسورَ قلبها الأعرج ويتبنى بذلكَ حبها الذي ترعرعَ وحيدًا وكَبُرَ يتيمًا، خرجا سويًا لتناولِ الغداء ، كانا يُمضيان وقتًا ممُتعًا ، وكأن ليلى لم تكُن، إنها فقط جرحٌ تَهتَّكَ قُطبهُ ليلًا ويسيلُ منهُ القيحِ ثُمَّ تُعادُ حياكتهُ مع مطلعِ النهارِ فيكفُّ عن نخزِ صاحبه.

آمالي مُرهقة، أحلامي أخذت قيلولةً بعد وجبةٍ دسمةٍ من الخيبة ولم تستيقظ بعد..

دخلَ كريم إلى المنزل وأغلقَ الباب دون أن يشعرَ أحدٌ بقدومه، أخذ يختلسُ السمع إلى الحجرةِ التي تقطنُ فيها ابتسام وليلى، كانت ابتسام مستلقية تضعُ يدها على بطنها بعد أن فقدت جنينها، **أما ليلى جالسةٌ على سريرها تُغني:**

نطرتك ع بابي وع كل البواب.. كتبتلك عذابي ع شمس الغياب

لا تهملني لا تنساني .. ما إلي غيرك لا تنساني

بلدي صارت منفى طرقاتي غطاها الشوك والأعشاب البرية

ابعتلي بها الليل من عندك حدا يطل عليّ

لا تهملني لا تنساني يا شمس المساكين

من أرض الخوف منندهلك يا شمس المساكين

أنا زهرة من زهورك، باركني، ساعدني بالدمع بتزرعني بالفرح بتحصدني

عدلك فاض عليي كرمك ضواني

إذا الكل نسيوني وحدك ما بتنساني.

قاطعتها ابتسام بأسلوبٍ فظ: هل ترينَ أن الوقت مناسبٌ للغناء؟، هل أنتِ سعيدة بهذه الحال؟.

- ليس من المشترط أن أشعرَ بالسعادة لأغني، قد أغني لأرتاح مثلًا، لا يوجدُ هنا أي وسيلة للتسلية.
- الأفضلُ لكِ أن تصمتي إن سمعكِ تغنين سيقطعُ لسانك، تتحدثين عن وسائل التسلية كأنهُ قد جلبكِ من أحدِ القصور، لقد جئتِ إلى هذا المنزلِ جارية وستخرجين منهُ كذلك.

- ماذا سيفعلُ بي؟.
- سيبيعُكِ عندما يَمَلُّكِ.

أخذت تضحكُ وفي تفاصيلِ تلكِ الضحكة حُقنت جُرعاتٌ من الحُزن (**يا للسخرية**).

سمعتا صوت الباب الخارجي يُغلق، وما هي إلا دقائق حتى فتح كريم باب الغُرفةِ (**ليلى .. تعالي**) ثم أوصده على ابتسام.

كانت المرةُ الأولى التي يندهُ لها باسمها، دخلت إلى غُرفته جلس على السرير وهي أمامهُ على الأرض، أمسكها من زندها لتجلسَ إلى جواره، كان يبدو على وجهها أنهُ يؤلمها لكنه لم يكن يمسكها بقوةٍ، نظرَ إلى حيثُ أمسكها كان لون بشرتها البيضاء مختلطًا بينَ اللون الأزرق والأحمر (**هل ضربتكِ ابتسام ؟**).

- استغربت سؤاله (لا).
- ما سببُ هذا الأثر؟.
- لقد سقطتُ على ذراعي عندما حدث الشجار في الصباح.
- هذه المرة انقضت بهذا لا تتدخلي مرة أخرى فقد أقتلُكِ.

كيفَ لي أن أتخطاكِ وأنتِ كفجوةٍ في روحي كلما هربتُ منها وقعتُ فيها كلما تناسيتها أوجعتني أثقلتني وقيدتني.

تقلَّب حول نفسه في الفراش للمرةِ العاشرة (**أريد أن أنااام، أنا مُتعب، ساعدني ياالله**)، كان الأرقُ يذويه، هيَ مشاعرٌ كانت تأبى أن تنام، تأنيبٌ لا يكفُ عن لطمِه.

طرقَ بابَ الغرفةِ التي تنامُ فيها ندى، سَمِعَ صوتًا يسمحُ لهُ بالدخول.

- هل أيقظتُكِ أم أنكِ لم تنامي بعد؟
- لم أنم بعد.
- أريدُ أن نتحدث قليلًا إن لا تمانعين فقد طارَ النوم من عيني منذُ فترة.
- لا بدَ أن أرواح من قتلتهُم تُطاردُك.
- أنا لم أقم بإيذائكِ، لا تزيدي في وجعِ ذنبي ذنبًا، إن لم تريدي التحدُثَ سأخرج.
- يمكننا التحدُث، اجلس.
- أخبريني عن نفسك ما اسمك؟ من أينَ أتيتِ كيفَ وصلتِ إلى هُنا؟

أخذت ندى تروي لهُ ما حدثَ، كانَ يُبدي أسفهُ لما تقول، وبعد انتهاءها جاءَ دورهُ في الحديث (**اسمي آدم على وشكِ إتمام الأربعةِ والعشرين من عُمري، كان لديَّ أحلامٌ كثيرة، لو أنني لم**

أتغير وآتِ إلى هُنا لكنتُ أستعدُ للزواج من حبيبتي في هذه الفترة، وربما كنتُ أتحدثُ معها مكالمةً طويلةً الآن تؤنسِ ليلي وتُفرِحُ وحدتي)

ـ لماذا جئتَ إذًا!.

(تعرفتُ على شابٍ منذُ سنةٍ تقريبًا عرَّفني على شيخٍ، صرتُ بجهلي وقلةِ ديني أترددُ إليه، أخذت أتأثرُ بحديثِهِ كأنني كُنتُ مخدرًا أو ثملًا، كنتُ مُترددًا في المجيء إلى هُنا، لكن ما جعلني أحسمُ قراري أن شقيقتي هربت من منزلِ زوجها، انتشرت الفضيحة، لم أعُد أجرءُ على النظرِ إلى أهلِ الحي لقد خيبت ظني وظن والدتي بها، إلى الآن لا أصدقُ كيفَ فعلتْ هذا، إنها فتاةٌ مسالمة جدًا، تملكُ من الطيبة والرقة ما يجعلني أشعرُ بأنني خُدِعتُ بشقيقتي التي كنتُ لها صديقًا قبلَ أن أكونَ أخًا).

ـ ألم تلحظ عائلتكَ أنكَ كُنتَ تتغير؟

(بلى، لكن أكثرَ من تأثرت هي الفتاة التي أُحبها، كلما أتذكرُ ما فعلتُ أشعرُ بغبائي، لم أعد أذهبُ معها إلى الجامعة أبعدتُها عن كل أصدقائها ثُمَّ تركتُها، كانت تتصلُ بي حدَ الخمسين مكالمة في اليوم وفي الغالب لا أُجيبها، لطالما جاءت والدتها وأخبرت والدتي أن ابنتها حزينة أكلُها قليل وتبقى مُعظم الوقت لوحدها في غُرفتها لكنني كنتُ أتجاهل، صدقيني كأنني كنتُ مغيبًا) غلبَ الوجعُ كلماتهُ كانَ على بُعدِ غصةٍ من البكاء.

تعاطفت ندى معهُ (**لا بأس، إنهم أحياءٌ على الأقل ..، لدي سؤالٌ يثيرُ فضولي**).

- تفضلي.
- لماذا تصرفتَ بغرابةٍ أولَ ما رأيتني؟
- لديكِ نفسُ عيني حبيبتي ولون البشرة، عندما نظرتِ إليَّ للمرةِ الأولى للحظةٍ تهيأَ لي أنها أمامي.

ردت مازحةً: (**لم يعد ينقصُ إلا أن تناديني تولين أنتَ أيضًا؟**).

توسعت حدقتا عينيه مندهشًا (**هل قلتِ تولين؟**).

- نعم ، ما بك.
- كيفَ عرفتِ اسمها ؟
- هل اسمها تولين حقًا!؟
- نعم اسمها تولين.
- يا الله ما أصغرَ هذهِ الدنيا!

اقترب منها وقد تسارعت أنفاسه أمسكها بيديهِ من زنديها (**أرجوكِ أخبريني، هل تعرفين شيئًا عن تولين**)، انتبه إلى يديه ثم أبعدهما عنها (**آسف**).

- هل أنت آدم شقيقُ ليلى؟
- نعم، تكلمي بسرعة أرجوكِ.

ـ سأخبرُكَ بكلِ شيء لكن اهدأ.

ما إن انتهت من إخبارهِ حتى غادرَ، دخلَ غرفته وضعَ يديهِ على عينيه وأخذ الدمع ينسكب (**ظلمتُ شقيقتي وحبيبتي وأمي، الكلب عامر سأعودُ لأقتلهُ حتى لو كلفني هذا موتي**) قام بقوةٍ وأخذَ يُحطمُ كلَ شيءٍ حوله.

هل اعتقدت حقا أنني لن أستطيع من دونك الاستمرار

كيف تخيلتَ أن فراقك سيقطع كل الطرق!..لا يا سيدي إنه فقط قام بتبديلها.

بطرق أقوى تسير خطواتي عليها ثابتة.

تمضي الأيام بلا عودةٍ أو تكرار، حان موعدُ زفاف تولين، تركت غُرفتها الصغيرة، وودعت تفاصيلها البسيطة، لم تستطع أن تترُكَ هدايا آدم؛ عزَّ عليها فراقهم وضعت في حقائبها تلك الدمية الحمراء، المجسمات التذكارية وزجاجات العطر الفارغة، أمَّا صورهُ فلم تسخَ بأن تتلفهم تركتهُم داخل سحَّابِ الوسادةِ الخاصةِ بسريرها.

حلَّ المساءُ أطلت كحوريةٍ من الجنةِ بثوبها الأبيض وزينتها التي زادتها بهاءً، أُقيمَ حفلُ الزفافِ في المنزلِ الأنيقِ الذي هيأهُ

ليُسكنها فيه، لم يكنِ عدد الضيوفِ كبير، أطلت امرأةٌ على مشارفِ الثلاثين لتباركَ للعروسين .

همست تولين (من هذه؟).

- إنها زوجتي الأولى.

- ما كان عليكَ دعوتُها.

دمَعت عينا والدتها، أخذت تطبعُ القُبلات على وجهها قبلَ انتهاء الحفلة (مباركٌ لكِ يا ابنتي بالبنات والبنين إن شاء الله).

ثم خاطبت أكرم (إنها أمانةٌ في رقبتكَ، هذه ابنتي الوحيدة ليسَ لي سواها).

تؤرجحُنا السنينُ فوقَ أيامها، تدنو من أرواحنا لتتلاعب بها بمزاجيتها، تستهلكُ منها ما يكفيها لتثبتَ جبروتها .. تسرقُ بضعًا منها وتخبئهُ في قبوِ ذاك القطار الذي تُجبرُ به أحبتنا على الرحيل، تنفينا عن أنفُسنا عامًا بعد عام، فلو لم تُشعرنا بالغربةِ حتى عن أنفسنا لما شعرنا بمرورها، ووقع خطاها عندما ترحل تزيدُ في عدادِ انتصارها نقطةً، وفي عداد أعمارنا عامًا يخفي في ثناياه القرون أحيانًا.

لم يترُك آدم مركزًا للسبايا في القريةِ الموجودِ فيها والقُرى المجاورة الخاضعة لسيطرة التنظيم إلا وبحثَ فيهِ عن ليلى، في أثناءِ عودتهِ بالسيارةِ التي قد سلموها إياه سابقًا لمحَ رجلًا بينَ الأشجار يتحدثُ على الهاتف النقال .

نزلَ من سيارتهِ بهدوء ورفعَ بندقيتهُ على الرجل (**ألا تعلمُ أن استعمالَ الهاتفِ ممنوع**).

ـ أرجوكَ لا تقتلني يا سيدي.

ـ أعطني إياه وسأصفحُ عنك.

أخذهُ منهُ وعاد للمنزل، قابلتهُ ندى (**هل علمتَ شيئًا عنها ؟**).

ـ ليسَ لها أيّ أثر.

ـ قلتُ لكَ لقد أخذوها إلى العراق.

ـ سأذهبُ إليها عندما يرسلون عددًا منا إلى هُناك.

ـ يا آدم إنهُ جنون، حتى لو بحثتَ عنها في كلِ المراكزِ هناك غالبًا لن تجدها، ستكونُ في منزلِ أحدِ الرجالِ التابعين للتنظيم.

ـ يا إلهي لقد ابتلعت الحربُ شقيقتي الوحيدة.

أعلمُ أن قلبي مثقوبٌ وأن في صدري شرخٌ واسع، لذا حبي لكِ أكبر من أن يكون ضمنَ حدودِ مساحةٍ مغلقة، أعلمُ أيضًا أنكِ لا تُحبينني وأنني الضرُّ الذي أسمعكِ تناجينَ الله لبترهِ عند

كل صلاةٍ فجر وأنت ترددين (**اللهم إني مسَّني الضرُ وأنت أرحمُ الرحمين**).

أحببتكِ بروحٍ مبتورة، بطفولةٍ لم أعِشُها، بعينينِ أذاب بؤبؤهما لهيبُ الدمعُ سابقًا فقلبتُهما إلى الجهةِ الأخرى لأرى الحياةَ بشكلٍ جديد وصرتُ إنسانًا بلا إنسانية.

كان كريم يتقصَّدُ الدخول إلى المنزلِ دون أن يشعُرَ بهِ أحد، كان يحبُ أن يرى الجانبَ الآخر من ليلى، ذاك الجانبُ البعيد كُلَّ البُعدِ عن خوفها منه كما أن صوتها المُرهفَ بالغناءِ كان يسحرُه.

وقفَ عند باب المطبخ كان يرتدي ثياب العمل ويُغطي وجههُ بغطاءٍ لا يظهرُ من وجههُ إلا عيناه؛ هي المرةُ الأولى التي يبقيه على وجهه في المنزل، **كانت تقومُ بأعمال التنظيف أخذت تملأُ الماء في وعاءٍ وهيَ تُغني:**

ما في حدا لا تندهي ما في حدا
عتم وطريق وطير طاير عالهدى
بابن مسَّكر والعشب غطى الدراج
شو قولكن؟ شو قولكن؟ صاروووا صدى؟
مع مين بدك ترجعي بعتم الطريق
لا شاعلة نارن ولا عندك رفيق.

ما إن التفتت ورأتهُ حتى انقطعَ صوتُها، ووقع الوعاءُ من يدها على قدمِها ذُعرًا، جلست على الأرض من الألم، وما إن رأتهُ يقتربُ نحوها حتى غطت وجهها بيديها كي لا ترى ماذا سيفعل وهي ترددُ بصوتٍ مُتخامد (**أرجوك لن أكرر هذا**).

قرفصَ بالقربِ منها، رفعَ عن وجههِ الغطاء ثُمَّ وضعَ يديهِ فوق يديها المُرتجفتين و أبعدهُما عن وجهها بلطفٍ (**اهدأي لن أفعلَ شيئًا يؤذيكِ، هل قدمكِ تؤلمكِ ؟**).

ـ لا بأس سيذهبُ الألمُ بعد قليل.

لا زالت ترتجفُ من الرعب ساعدها بالنهوض، كانت لديهِ رغبةٌ جامحةٌ أن يضمها إلى صدرهِ بقوة ويطبع قبلةً رقيقةً على جبينها لعلها تطمئنُ له، لكنه لم يفعل، لم يُرد أن يُظهرَ فجوةَ ضعفهِ علنًا، خشيَ إن علمت بها أن تجعلَ منها طريقًا تعبرُ خلاله فتتوسع وتزيدُ مساحةُ ذاك الرتقُ الذي يأبى أن يلتحم.

أحملُكَ في قلبي على ظهر أمنية وأركض وأمشي وأزحف إلى أن أصلَ بكَ إلى الواقع الذي أُريد، فالنصرُ أحيانًا على بعدِ خطوةٍ من الاستسلام.

بعد أن توارت الدموع وهدأت موجات الحنين المتأججة: أدركنا بأننا لم نعد نحنُ من كانت تحرقنا الكلمة وتخفقُ قلوبنا

لنظرة، نقلوا إلينا برودهم أصبحنا مثلهم صنديدين بأرواح عاتية، وعيونٍ صلبةٍ كالحجارة جافة كالصحراء، نحنُ من كُناً نشتهي لأنفسنا الحُزن كي يسعدوا، أصبحنا نشتري سعادةَ من حولنا بإتعاسهم، أدركَ يمان أنهُ رغمَ حبهِ لليلى لم تكُن هي المناسبة، عاد من دُبي برفقةِ سحر، ليُعرفها إلى والديه، دخلَ إلى المنزلِ حيثُ كانت أهازيجُ الفرحِ تعلو، لقد دعى كُلَ أصدقائهِ وموظفي الشركة سرًا ليحتفلا بقدومِ سحر معهُ، أمام الجميع أخرجَ مِن جعبتهِ علبةً صغيرة تحويَ محبسًا (**هل تتزوجينني؟**)، داعبت الكلماتُ قلبها الذي زاد خفقانُه وتلألأ الفرحُ في عينيها (**أجل**).

ألبسها إياهُ ثُمَّ قبَّل يدها، صفق الجميع، لم تكن والدتهُ مسرورة بهذه العروس لكنها تبقى بالنسبةِ لها أفضلَ من ليلى ومن عائلةٍ أرقى وأثرى تناسب مستواهم الاجتماعي.

أيقظِوا أحلامكم كي لا تَبقَوا أرواحًا ميتةً على حافةِ الزمن، أيقظوها من كوابيس الفشل، عانقوا الوحدة التي اعترتها بعد انشقاقكم عنها، رفقًا بخذلانها، رفقًا ببؤسكم، رافقوها مؤنسين كي تجعل للفرح طريقًا إلى قلوبكم.

أخرج الهاتف الذي سلبهُ من الرجل كانت الشريحةُ داخلهُ هي شريحة انترنت فقط حذف التطبيقات الخاصة بالرجل كالسكايب وغيرها، فتحَ حسابهُ على الفيس بوك، ودخلَ إلى

الصفحةِ الخاصة بتولين أخذَ يتأمل صورها (**آه كم اشتقتكِ**)، لم تكن قد دخلت إلى حسابها منذُ مدةٍ طويلة وآخر ما قد نشرته (**لم يعُد لوقعِ لقائنا صوتٌ يُسمَع، جفَّت على أفواهنا الضحكة وانطفأ في أعيننا البريق**).

دخلَ إلى صفحةِ يمان، أخذَ يرسلُ لهُ الرسائلَ للاطمئنان إلى حالِ والدتهِ وتولين، ثُمَّ أخذَ ينتظرُ رده بفارغ الصبر (**آمل أن يوافق خالي على مساعدتي بأن أخرُجَ من هُنا، يا رب سامحني على ما فعلت وأعطني القدرة ويسِّر أمري لأُصلحَ أخطائي**)، لكن بعض الأخطاء أعقدُ من أن تصلح والأموات لا يعودون.

أنتِ الجانبُ المشرق وكلُّ الجوانبِ قبلكِ ظلام، قبلةُ القدرِ الضوئيةِ على حياتي الحالكة.

مسحةُ الرحمةِ فوق أكداس أحلامي الميتة، شيءٌ ما يهزُ بنظرتهِ قبورًا حفرتُها منذُ زمنٍ ويحاولُ إحياءَ رماد موتاها.

كانَ موعدُ الغداء علَى أزيزُ الحرب، صواريخٌ كانت تسقطُ كالمطر، أصوات تبادل الرصاص كانت تنخرُ في أذنيّ ليلى، كُسرت نافذةُ المطبخِ من شدة الصوت، جلست على الأرضِ واضعةً يديها على أُذنيها تصرخ وتبكي (**يكففففييي، يككككفييي، أكرهُ هذا الصوت، أكرهه**).

اقتربت منها ابتسام ودفعتها بيدها غاضبة (ما بكِ ؟، اصمتي هل جُننتِ).

دخلَ كريم وقد تأهبَ بزيِّهِ للخروج (ما الذي يحدُث!).

ابتسام (لا بدَّ أن جاريتكَ قد أصابها ضربٌ من الجنون).

- اذهبي إلى غُرفتكِ، سأتفاهمُ أنا معها، خاطبها بأسلوبٍ فظ.

مسحت ليلى دموعها (لم أقصد لكني خفتُ عندما سقطَ زجاجُ النافذة)، ساعدها على النهوض (أنا ذاهبٌ وربما لا أعود، إذا اشتد الأمرُ سوءًا واضطررتما لمغادرة المنطقة، لا تسلكي طريق الشمال في نهايتهِ قناصٌ للتنظيم).

وضعَ كفَّ يدهِ خلفَ رأسها والأخرى خلف ظهرها، اقترب منها مقدارَ قُبلةٍ وعناق، لكنهُ لم يفعل منذُ أن أحبها وهو يشعرُ أنها ليستْ من حقه، ذهبَ مُغادرًا المنزل، جاءت ابتسام (ألا تشعرينَ أنهُ مهتمٌ بكِ ؟ هل يُحبكِ؟)

- بالتأكيدِ لا، ربما يشفقُ عليّ.

- أمثالهُ لا يعرفون الشفقة، آملُ أن تسقطَ عليهِ قذيفةٌ تقسمهُ إلى أشلاءٍ، يارب أرِحني منه وافرحني بخبرِ موتهِ.

بعضُ التجاربِ حتى لو نجحنا في إنهاءِ زمنها فأثرُها لا ينتهي، تعلقُ شوائبُ موادها في ثيابنا، في صدورنا، وأحيانًا في أنفاسنا، فلا نكفُ عن تنفسها حتى نموت. كان آدم مُتجهًا لحياتهِ السابقة في سيارتهِ التابعة للتنظيم ذات النوافذِ السوداء، ندى تستلقي في المقعدِ الخلفي كي لا تظهر لأحد، تدعو الله أن لا يوقفَ أحدٌ السيارة وأطرافُها مُرتعدة.

أخبر يمان والدهُ الذي استطاع برتبتهِ الرفيعة في الجيش أن يأمرُ عناصر نقطة الجيش الأقرب للقرية التي كان فيها آدم أن يقوموا باستقبالهِ على أنهُ قد أرسلهُ سابقًا لداخلِ القريةِ في مُهمةٍ رسمية مع أخذِ الحيطةِ والحذر.

نجحت العملية وأخذَ عناصرُ الجيشِ يُحيُّونَ بطولتهُ، ويهنؤون ندى بنجاتها.

كانَ يأخذُ نفسًا عميقًا كأن الهواء كان مسلوبًا حيثُ كان، أما ندى جلست جاثيةً على رُكبتيها وحِممُ الدمعِ تثورُ من عينيها، اقترب آدم منها (**انهضي لقد انتهى ذاك الكابوس**).

لم يعلم أن كابوسهُ لم يبدأ بعد فيمان لم يُخبرهُ بما حلَّ بوالدتهِ وتولين.

- أشعرُ أن لدي صعوبة في التعامل مع الحياةِ هُنا، لا أظنُ أن هناك فتاةً قد عانت ما عانيت وخرجت.

- احمدي الله أنكِ خرجتِ وانظري للحياةِ بشكلٍ إيجابي.

ما هيَ إلا دقائقُ حتى أتى يمان بسيارتهِ، عانقهُ هامسًا في أذنه (**الحمد لله أن عقلكَ قد عادَ لك، وعدت لنا بخير**) ألقى التحية على ندى.

- إنها ندى كانت أسيرةً في الداخلِ وأخرجتُها معي، إنهُ يمان صديقي وابنُ خالي، صعدوا السيارة (**هيَّا خذني للمنزل سأموت شوقًا لأمي وتولين**).

كان يظنُ أن كل شيءٍ بقيَ على ما هو عليه وأنَّ الأوراق التي أحرقها بقيت أوراقًا ولم تحترق.

- سنذهبُ في البدايةِ إلى منزلي والدي يريدُ أن يراك، ردَّ مُرتبكًا.

- سأراه لاحقًا، خذني إلى منزلي أولًا.

لم يتجرأ يمان أن يخبرهُ خشيَ من ردةِ فعله (**آدم والدتكَ في منزلنا ستراها لكن اصبر**).

ما إن دخلوا إلى المنزل، حتى استقبلهُ خالهُ عاقدَ الحاجبين (**ادخل لنتحدثَ في هذه الحُجرة**).

دخلا لوحدهما، اقتربَ منهُ خالهُ وصفعهُ بكلِ ما يملكُ من قوةٍ (**لو لم تكن ابن اختي لمزقتُك**).

ـ أنا آسف يا خالي، افعل بي ما شئت أدركتُ خطأي.
ردَّ متأسفًا.

ـ هل تعلمُ ما الذي فعلتهُ يا آدم ؟ هل تعلم ما فعلت ؟ لقد قتلتَ أنتَ وشقيقتكَ والدتك، لقد ماتت قهرًا من فعلتكما.

تجمدَ الدم في عروقه، سقط قلبهُ أرضًا ونزلَ خلفهُ ليمسكه (لا، والدتي لم تمُت انا عائدٌ لأراها، لم تمُت، إنها حيَّة سأذهبُ إلى المنزل لألتقي بها، أنتَ تُمازحني).

نهض متجهًا نحو الباب، لكن خالهُ أمسكهُ من ذراعهِ بقوةٍ (لا يمكنكَ الخروج بهذه الثياب) ثُمَّ نادى يمان (اجلب لهُ من ثيابكِ ثيابًا يرتديها وخذهُ لقبرِ والدته.

و صلوا إلى القبر جلسَ آدم راكعًا ودموعهُ تغرِّقُ خديه (سامحيني يا أمي.. سامحيني، لقد عُدت لأجلكِ، أرجوكِ انهضي، انهضي يا حبيبتي، أعلمُ أنكِ تخافين الظلام، كيفَ تركوكِ هُنا لوحدكِ يا أمي، لعنني الله على ما فعلت، ليتني متُ هناك ولم أعد، كنتِ تأتينني ليلًا لابدَّ أنكِ كنتِ تملين وحدكِ فتأتين لزيارتي.. أُحبكِ يا أمي، أرجوكِ سامحيني، سامحيني على ما فعلتُ بكِ وبنفسي..).

كان يمان وندى يقفان بالقربِ منه همست ندى ليمان

(**سيكون أفضل إن تركناه لوحدهِ قليلًا، هل بإمكاننا الحديث؟ أريدُ أن أحدثكَ من فضلك**).

خرجا خارج المقبرة وبدأت تروي لهُ ما حدث مع ليلى لتخبرهُ بالكلامِ الذي طلبت منها إيصالهُ له.

لا أريدكَ، ارحل، المشاعر التي ماتت من شدةِ برودة قلبك لن تحيا.

عواصفُ الحنين التي هدأت بعد انهماكها في بحثها عنك لن تثور مجددًا

دموع عينيّ التي ذبلت وانطفأ نورها، جفت وجف معها حبي واشتياقي.

تلذذت بتجاهلي وحين قررت تجاهلك إلى الأبد عدت!

لا أريدك، عُد من حيث أتيت فأبواب قلبي ليست مفتوحة.

وظف أكرم والد تولين في شركتهِ، وعيَّن لها سائقًا، طلبت تولين من السائق التوقف وهي في طريقها إلى منزلِ عائلتها (**سأكملُ طريقي مشيًا تحت المطر، عُد وخذني غدًا صباحًا**).

كانت تمشي تمدُ يديها للسماء، والنسمات تلاطفُ شعرها، أخذت تدعي (**هَدِء قلبي يا الله، اعطني القناعة والقوة**).

مرَّت من أمام المقبرة كانت سيارةُ يمان متوقفة جانبًا، لمحت أحدًا عند قبرِ أُم آدم فتوقفت، تمعنت في النظر (**يمان!**)، ثُمَّ توجهت نحوه كان َلا يزال مخفضًا رأسهُ وجاثيًا على رُكبتيه (**أعلمُ أنكَ كنتَ تحبُ عمتك، لا داعي لكل هذا الحزن هيا انهض**) وضعت يدها على كتفهِ، فوضعَ يدهُ فوقها وأمسكها، (**يمان ماذا تفعل!**) حاولت إفلات يدها فالتفت نحوها (**لم أستطع طلبَ الصفح من والدتي، سامحيني أنتِ، أنا أُحبكِ**).

وقفت مدهوشةً، أفلتت يدهُ بقوة (**حتى لو جئتني حُلُمًا لا أريدُ أن أراك**)،تركتهُ يتآكلُ من الندم، وعادت متوترةً وأعصابُها مشدودة، صادفت في طريقها يمان وندى (**مَن أحضرَ هذا الوضيع من جهنم**) صرخت غاضبة وأكملت طريقها دون أن تلقي التحيةَ حتى.

لم يُجبها يمان أو ينطُق بكلمةٍ؛ كان الشرار يتطايرُ من عينيه وقلبهُ مُنقبض من ما قالته ندى.

(**مَن هذه ؟**)، سألت ندى يمان.

- إنها تولين حبيبةُ آدم .
- أتمنى أن يعود كل شيء إلى سابقِ عهدهِ عندما تهدأ.
- لقد تزوجت، بعضُ الكسورِ يصعبُ جبرُها أو حتى لمسُها.

رنَّ هاتفهُ للمرةِ الخامسة فأجاب (**أهلا سحر .. لا لن أتمكن من رؤيتكِ اليوم .. ابقِ عند صديقتكِ .. سنعودُ قريبًا لا تقلقي**).

عادوا بالسيارةِ التي توقفت أمام منزلِ عامر، تلطخت عيني آدم بالندم العقيم الذي لا يفيدُ شيئًا ولا يغيرُ شيء، نزل برفقة يمان وأخذا يطرقانِ باب المنزلِ حتى كادَ يُهد فتحَ لهما رجلٌ برفقةِ زوجتهِ خرجا مذعورين ـ (**ماذا هناك ، لماذا تطرقان الباب هكذا؟**).

- أين عامر، قالاها معًا.
- مَن عامر؟ تقصُدان صاحب المنزل القديم.
- أجل.
- اشترينا هذا المنزلِ منهُ وما نعلمه أنه هاجرَ خارج البلاد منذُ مُدة.
- لقد نجى بفعلتهِ الحقير السافل، أخذَ آدم يشتمهُ بصوتهِ الذي بالكادِ يخرجُ من حنجرته بينما يحاولُ يمان أن يسألُ الرجل فيما إذا كان هناك أمل بإيجاده إن كان ما زال في البلد لكن دون جدوى.

ما إن وصلوا إلى المنزلِ، حتى استأذنهم آدم بالدخول للنوم ليختلي بذنبه رافضًا أن يأكلَ أو يشرب شيء، جلسوا حول المائَدة لتناولِ الطعام كان والدهُ في العمل، أخذ يمان يطيلُ النظرَ إلى والدتهِ، لم يستطع أن يكبحَ قهرهُ أكثر (**ظننتكِ أمًا تسعى**

لتُفرحَ ابنها، لم أعلم أنكِ بهذا الخُبث، كيفَ استطعتِ الكذبَ كُلَ هذا الوقت، كنتِ ترينني أتعذب لكن الأهم بالنسبةِ لك من كلِ هذا أن تفعلي ما تخططين له).

- ما بكَ أنا والدتُكَ كيف تحدثني هكذا؟-اصمتي، كفاكِ تظاهرًا بالبراءة لقد أفسدتِ علاقتي بليلى، ذنبُ هذه الفتاة التي تُمضي شبابها وما تبقى من عمرها بين يدي داعش أنتِ المسؤولة عنه، أنت سبب تعاستي من الآن إلى أن أموت، سأسافر في أسرع وقت إلى دبي وسأتزوجُ هناك لأنني لم أعد قادرًا على أن أؤَمنَ بكِ، انسِ أن عندكِ ابن سمعت؟، أنا جالسٌ حولَ هذه المائدة فقط لأجل الضيفة.
- يا بني أنا فقط أردتُ لك فتاةً أفضلَ منها.
- اصمتِ وإلا خرجتُ مِنَ المنزل من الآن، لا أطيقُ أن أسمعكِ.

أحملُ جسدي فوق جرحي، أبحثُ عن ركنٍ آمن بعيدٍ عن رصاص الذاكرة، ركنٍ لا يشبهُ حرب واقعي، لَيسَ كلُ شيءٍ كما يبدو ظاهرًا، هذاٍ الشعرُ البني أبيضٌ من الداخل، وبشرتي المشدودة ليست مشدودة إنها مُترهلة كأنني احتفلُ بعيدِ مولدي المائة، أخطأتُ التشبيه لا يوجدُ مجالٌ حتى لأن يكون الاحتفالُ

تشبيهًا، أنظرُ للسقفِ كم يشبهُني فكلانا مُصدَّعٌ لكنهُ لا يزال قادرًا على الوقوف.

مساءًا بينما تجلسُ على سريرها، حدثتها ابتسام ساخرةً (**لقد قُتلَ، آملُ أن لا يدفنوهُ، لتأكلَ لحمهُ النجسَ الكلاب**).

- ما الذي يؤكدُ لكِ أنهُ ليسَ حي؟ قالتها بحسرةٍ.
- هل رأيتِ الفتاة التي زارتني منذُ قليل (**إلهام**) إنها ابنةُ خالتي تعملُ لدى التنظيم (**أخبرتني أن المجموعة التي ذهب بها لم يعُد منها أحد حتى الآن والاحتمالُ الأكبرِ أنهم قتلى أو أسرى، وإلا لماذا لم يعُد لقد مضى عشرةُ أيامٍ على مغادرته، أنتِ حزينةٌ لأجله!؟**).
- حتى لو كان سيئًا لقد كان يعيشُ بيننا يعزُ عليَّ أن يموت، ماذا سنفعلُ إن كان ما قلتهِ صحيحًا؟(**ماذا سنفعل؟، إن لم يعُد حتى الغد ستأتي إلهام وتأخُذكِ لمركزِ السبايا الذي تعملُ به**).
- لكن لماذا؟ سألت مضطربة.
- (**لأن الوغد الذي أحضركِ لتسليتهِ قد مات، ما حاجتي بكِ الآن؟**).

اقتربت ليلى وجلست بجوارها متوسلة (**أرجوكِ لا أريدُ أن أذهب، سأعملُ في خدمتكِ وأنفذُ كل ما تطلبين فقط أبقيني عندكِ**).

- لا حاجةَ لي بخادمة، ستنامين في الصالة اليوم فأنا لا أثقُ بكِ ربما تحاولين قتلي ليحلو لكِ العيشُ هنا.

كانت كلماتها تسقطُ كالجمرِ لتذيب طراوة قلبِ ليلى بقسوتها (**لماذا تعاملينني هكذا بماذا أسأتُ لكِ ؟**).

- لم تسيئي لكنهُ منزلي، و لم أفتحهُ سبيلًا لأتصدق .

- كم أنتِ قاسية!، كنتُ متعاطفةً معكِ لكنني الآن أدركتُ أنك تستحقين ما كان يفعله بكِ.

جنَّ جنون ابتسام من هذه الكلمات، هجمت عليها كحيوانٍ مفترس أمسكتها من شعرها وشدتهُ بقوةٍ ثُمَّ أوقعتها وأخذت تضربُ لها جبينها بالأرضِ حتى توَّرم وتلون بالأزرق كانت ليلى تحاولُ الدفاع عن نفسها لكنها كانت أقوى وأضخمَ منها، وبعد أن أفرغت حقدها رَمَت بها خارج الغرفةِ وأقفلت على نفسها.

أخرجت ليلى البخاخ من جيبها ليساعدها على التنفس، كانت تشعرُ بأن رئتيها تصغُران وأنها يومًا ما ستختنق، استلقت على الأرض وهي تضمُ نفسها بيديها وتقربُ قدميها من بطنها لعلها تُدفىءُ نفسها قليلًا.

لا تفعل كساعةٍ منبهةٍ تيقظُ أوجاعي الأرقة كلما اقترب النوم منها، لا تذهب بي إلى حيثُ لا أريد.

قليلةٌ هي الأيام التي يمضيها أكرم مع تولين لم يعد شاعريًا كما كان قبل زواجهما كأنهُ قد تزوجها منذُ عشرين عامًا، كان يقضي معظم وقتهِ عند زوجتهِ الأولى، لم تكن حياتها كما تصورت أنها ستكون أصبحت تعيش في فراغ أكبرَ من قبل، اكتشفت أن البيت الفاخر والسيارة حديثةُ الطِّراز هي ليست وسائلٌ للنسيان فهي أشياءٌ لا حولَ لها ولا قوة.

منذ أن صادفت آدم وهي كدوامةٍ وسط متاهة لا تكفُ عن الدوران حولَ الماضي ولا تبصرُ طريقًا مُرضيًا للمستقبل.

حاولتُ من بعدكَ أن لا أموت، نجحت محاولتي لكن لم أستطع أيضًا أن أعيش.

انتصف الليل، لم تستطع النوم من البردِ وألم الضربات التي تلقتها ما كان يُتعبُها أكثر هو التفكيرِ في العذاب المجهول الذي ينتظرُها.

سمعت صوتَ رجالٍ بالقربِ من باب المنزلِ الخارجي، تسارعت ضرباتُ قلبها خوفًا، فُتحَ بابُ المنزلِ ودخلَ كريم كان مبتسمًا كما لم تعتد أن تراه، لم تشعر بنفسها حينَ أسرعت نحوهُ وعانقته (**الحمد لله على السلامة**).

طبعَ قبلاتٍ متفرقةٍ على يديها وخديها كما لم يفعل من قبل (**ظننتُ أنني لن أراكِ ثانيةً**) كان ينظرُ إلى عينيها، هذه المرةُ الأولى التي ترى فيها دمعًا يلمعُ في عينيه ضمها إلى صدرِهِ بقوةٍ ثُمَّ ابتعد متألمًا واضعًا يدهُ على صدره (**يداكِ باردتين، يا إلهي ما حالُ جبينكِ ولماذا تجلسين هُنا في هذا الوقت**).

- هل أنتَ مُصاب؟، ردت بقلقٍ.
- لقد فعلت بكِ هذا تلك الأفعى الحقودة؟اتجهَ مُسرعًا نحو باب غُرفتها لكنهُ كان مُقفلًا، نظر إلى ليلى بغضبٍ (**هل أقفلت الباب وتركتكِ بالخارج!**).

أرجوك دعنا نتحدث بهذه الأمور لاحقًا.

- فقط لأجلكِ، ولأنني لا أنوي أن أُفسدَ فرحي برؤيتكِ مرة أخرى سأُؤجلُ لها الحساب حتى الغد.

فتح باب غُرفتهِ، دخلا إليها (**لا بدَ أنكِ مُتعبة، نامي هُنا**).

- لكنكَ ترفضُ أن يبقى أحدهم في غُرفتكَ وأنتَ نائم، ألن تنام؟ـأنتِ لستِ أحد، كنتُ سأموت لم يخطر في بالي إلاكِ، هل أنتِ حقًا سعيدة لأنني عدت، أم لأن ابتسام أساءت معاملتكِ في غيابي؟ـلكلا السببين.

كانَ مصابًا بشظيةٍ في صدره، هيأَ نفسهُ للنوم بمساعدتها ثم أطفأت النور وبقيَّ ضوءٌ خافت، استلقت إلى جوَارهِ وسُرعان

ما غطت في النوم أما هو بقي يتأملُها ويلامسُ بأصابعهِ ملامح وجهها الناعمة حتى تعبت عينيهِ وغلبهما الوسن.

عُدت، لكن لم أجد لي مكانًا، جرفت رياحُ الزمن كُلَّ ما يخُصُّني، لاكت الحربُ عائلتي بأنيابِ قسوتها أما أنا فبصقتني.

عُدت لكن لم يعُد مني شيءٌ إلا جسدي.

قرأت ندى الفاتحة لوالدها الذي استسلم للموت بعد ما حلَّ بهم، منذُ كانت في الأسر كان لديها احساسٌ قويٌّ أنهُ مات؛ فقد كان مريضًا في القلب علمت أن تلك العضلة الصغيرة أضعفُ من أن تصمُد، ليومين كان الترحيب فيها قائمًا لكن بعدَ ذلك أصبحت تشعرُ أنها عبئ، كما أنها سئمت من نظراتِ الشفقة في عيون أقاربها، في منزلِ عائلةِ والدها في القرية يسكُنُ خاليها مع زوجتيهما والأطفال، فضَّلت أن تترُك القرية وتسافر إلى المدينة لتعملَ هُناك، استدانت بعضَ النقود وكذبت عليهم بإخبارهم أنها قد وجدت عملًا.

كانَ صباحًا لطيفًا صعدت بالحافلة وحين وصلت، أخذت تسألُ المطاعم ومحلات الألبسة فيما إذا كانوا بحاجةٍ لعاملة، دخلت أحد المقاهي الذي كان موجودًا على زجاجهِ الخارجي

إعلان يطلبون فيه عاملة (**يبدو المقهى فخمًا جدًا، آملُ أن يقبلوا بتوظيفي، يا رب ساعدني**).

كانت ثياب العاملاتِ فيه أجملَ وأأنقَ من ثيابها البسيطة، تحدثت إلى المحاسب بارتباكٍ (**لقد قرأت في الإعلان أنكم بحاجةٍ لعاملة**).

ـ إنهُ قديم ، أجابها دون أن يبدي لها اهتمامًا.

على الطاولةِ القريبةِ منهُ، كان يجلسُ شابٌ أنيقٌ يشربُ القهوة، وضع الفنجان من يده ونهض ليُحدِّثها (**مرحبًا، كأنكِ تبحثينَ عن عمل!**).

ـ (**أهلًا، أجل أبحثُ عن عمل**).

ـ (**لديّ والدتي مُقعدة تقريبًا؛ فهي تجدُ صعوبة بالغة في المشي، أحتاجُ لمن يهتمُ بها و يساعدها، وكما أرى تبدين فتاةً لطيفة، أظنها ستحبُكِ إن كان العملُ يناسبُكِ**).

لمعَ بريقٌ من الأملِ في عينيها (**نعم يناسبني، سأهتمُ بها على أكملِ وجه**).

ـ إذًا اجلسي معي لنتفق على التفاصيل.

إنهُ نفسُ الصوت لازال يتكررُ مسمعهُ على أُذنيّ وكأن ما حدث يجري الآن من جديد، أطيافٌ من الماضي تلاحقني وأنا أهربُ ضمنُ مساحةٍ مغلقة.

كانَ طفلًا صغيرًا، زوجةُ أبيهِ ترفعُ السوط وتضربهُ بقوةٍ وابنتُها تضحكُ ساخرة، فتحَ كريم عينيه مُرتعشًا، التفت إلى ليلى التي لا تزالُ نائمةً بقربه، غسل وجههُ ثمَّ أمسكَ السوط المعلق على أحد المشاجب ثُمَّ خرج، كانت ابتسام تغسلُ الأطباق في المطبخ تفكرُ (تُرى أين ذهبت ليلى؟، استيقظتُ منذ الصباح ولم أجد أحدًت، وبابُ غرفةِ كريم لا زال مُقفلًا).

سمعت طرقات على باب المطبخ، التفتت، إنهُ كريم ارتعدَ الدمُ في عروقها (لم أمت بعد حتى تنالي مجدَكِ) قالها ساخرًا.

أخذَ يضربُها بكلِ ما يملكُ من قوةٍ بينما تمسكُ هي قدميهِ باكية مُتوسلة، قَدمت ليلى مذعورة (أرجوك توقف، يكفي، أرجوك يكفي) أخذت تتوسلُ كي يكفَّ عن ضرب ابتسام.

ابتعدَ عنها وهو يضعُ يدهُ فوق صدره (لم أنتهِ منكِ سأتركُ باقي العقاب لوقتٍ لاحق).

اقتربت ليلى منه (لا بأس يجبُ أن تبقى مُرتاحًا كي يشفى جُرحُك، أرِح نفسك في الصالة ريثما أعدُّ الإفطار).

ــ لن تفعلي أنتِ شيئًا، هذه الكلبةُ ستُعدُ كُلَّ شيء.

أبعدُ من أن أنساك وأقربُ من أن أحبك.. أخبروهم أن فعلًا واحدًا يقتلُ مدينةً من الكلمات.

(لماذا تفعلُ هذا بي؟ لقد مللتُ الجلوس في هذا المنزلِ وحدي، لم يمضِ شهرين على زواجنا وأنت لا تأتي إلا يومين في الأسبوع، ماذا ستفعلُ بعد عام أظنُ حينها أنكَ لن تأتي أبدًا، لقد مللتُ هذه الحالة) كانت تولين تحدثُ أكرم باستياء.

اقترب منها قبلها على جبينها (اهدئي يا حبيبتي الفاتنة أنا مُتأسف، أحيانًا أسافرُ في العمل لم أمضِ كل الوقت عند سلمى، لديَّ مخططٌ ليومنا هذا أظنُ أنهُ سيعجبُكِ).

بقيتْ عابسة دون إجابة، فأخذَ يداعبُ شعرها (لقد دعانا والدكِ لتناولِ الغداء، ادخلي وهيئي نفسكِ كي لا نتأخر، وسآخذكِ مساءً لنسهرَ في أحدِ الأماكن الجميلة، هيَّا بدلي ثيابكِ لنذهب).

خَرَجَت برفقتهِ، تحدثَ السائقُ الخاص بها للسيد أكرم (أعتذرُ منكَ سيدي، أظنُ أن هذا آخرُ أسبوعٍ للعملِ لديك).

ـ لماذا يا أبا محمد.

ـ عليَّ أن أسافرَ لأتبعَ زوجتي وأولادي.

ـ حسنًا سأبحثُ عن بديلٍ، لا بأس.

وصلا إلى المنزلِ فقامت والدةُ تولين باستقبالهم (**يكادُ الطعام أن يبرُد**) ثم همست سعيدةً في أُذنِ تولين (**لقد ترك الخاطفون صديقكِ آدم**).

أحست بالكهرباء تجري في جسدها عندما صافحت آدم لإلقاء التحية، شَدَّ بيدهِ على يدها لكنها أفلتتها ولم تنظُر حتى إلى عينيه، كان يجلسُ في الجهةِ المقابلةِ حول المائدة، ما إن أكلت قليلًا حتى توقفت (**الحمد لله شبعت**).

- ألم يعجبكِ الطعامُ يا ابنتي؟ـ بلى يا أمي إنهُ لذيذ لكن معدتي تؤلمني.
- آملُ أنها بُشرى بطفلٍ قادم، سآخذكِ قريبًا للطبيبةِ كي أطمئن، قال أكرم مُتحمسًا.

ساعدت والدتها في نقلِ الأطباق للمطبخ (**سأقومُ أنا بالجلي يا أمي اذهبي واجلسي معهم**).

- هل هناكَ خطبٌ بينكِ وبين آدم لا أعرفُه؟
- لا، لكن لا أستطيعُ التعاملَ معهُ كما كُنا قبل رُبما يثيرُ هذا غضبَ أكرم.
- معكِ حق يا حبيبتي، سأذهب لأجلسَ معهُم.

ذكرَ أكرم أنهُ بحاجةٍ لسائقٍ جديد فرشحت لهُ أم تولين آدم الذي سُرَّ بأنه سيبقى قريبًا منها لإصلاحِ ما يمكنُ إصلاحُه.

استأذنهُم آدم بالمغادرة، لكنَّ في بالهِ نيةٌ أُخرى دخل إلى المطبخ بهدوءٍ حيثُ كان موجودًا في الطريقِ إلى الباب الخارجي، وقام بعناق تولين من الخلف هامسًا في أذنها (**لقد اشتقتُ لكِ**).

سقطَ الطبقُ الذي في يدها وتحطم، التفتت نحوهُ، قامت بضربهِ على صدرهِ بكلتا يديها (**ماذا تظنُ أنكَ تفعل!، لم أعُد تلك الفتاة الغبية التي أحبتكَ و تركتها بكلِ بلادة، أنا أكرهُكَ الآن**)

- لكنني أحبكِ انفصلي عن هذه الكتلة الكريهة التي تجلسُ في الداخل، وأعدُكِ أن يعودَ كلُ شيءٍ أفضل من ذي قبل.

أبعدتهُ عن طريقها ودخلت إلى الحُجرةِ حيثُ يجلسُ والديها وزوجها، تظاهرت بالمرض (**أكرم لنذهب الآن إلى الطبيبة أشعرُ بالغثيان**) خاطبتهُ كاذبة.

استأذنت والديها وذهبا، لكن الطبيبة أكدت أنها ليست حامل، أوصلها أكرم للمنزل ثُمَّ غادرَ إلى منزلِ زوجته الأولى ناقضًا ما قد وعدهُ بها.

لا تنظر إلى شكلي، أنا لستُ بالبهاءِ الذي تظنُ أنكَ تراه، فداخلي ركامٌ مشَّبَعُ بأشلاءٍ من الجثث.

عَملت ندى في منزلٍ يحوي السيدة العجوز هالة، زوجةُ ابنها المسافر(**شفاء**)، وابنها الذي أحضرها لخدمتها (**وسيم**).

كانت تعتني بالسيدة على أكملِ وجه، تُحممُها وتسرحُ شعرها، تُرتبُ لها غُرفتها، وتُحضِرُ لها وجبات الطعام التي تُحب.

أثارَ حبُ السيدة لندى غيرةَ شقيقةِ شفاء (**ريما**) التي كانت على علاقةٍ بوسيم، كانت تترددُ إلى المنزلِ باستمرار بحجةِ زيارةِ شقيقتها لرؤيته.

حلَّ المساء، ساعدت ندى السيدة في الخلود إلى فراشها (**رضيَ اللهُ عنكِ يا ابنتي**).

أطفأت النور، وخرجت متوجهةً إلى الغُرفةِ التي كانت تقطنُ فيها.

في الصالة كان يجلسُ وسيم برفقةِ ريما همسَ لها (**هل رأيتِ كم هي جميلة؟، عينيها ساحرتين**).

أشارت ريما لندى بإصبعها (**أنتِ تعالي إلى هُنا**).

اقتربت ندى منها (**أعدي لي كأسًا من عصيرِ الليمون**).

ردت بابتسامةٍ متثاقلةٍ بسببِ أسلوبها السيء(**حسنًا**).

خاطبَ وسيم ريما بغضبٍ بعد دخولِ ندى إلى المطبخ (**لماذا فعلتِ هذا؟، إنها تعتني بأمي ليست خادمة للمنزل**).

لم تجبهُ وبقيت تعقدُ حاجبيها، ما إن جاء العصير حتى تذوقته ثم وقفت بعد أن أدارت ندى ظهرها لتذهب (**ما هذه الطعمة؟ ما الذي قد وضعتهِ لي في العصير؟**).

التفتت ندى مستغربةً سؤالها لتجيبها، فرشقت محتوى الكاس في وجهها (**اشربيهِ أنتِ**).

جلست تضعُ يديها على عينيها، بينما وقفَ وسيم مدهوشًا من فعلتِ ريما، تناول قارورةَ الماء من على الطاولة اقترب من ندى ليساعدها، أخذَ يسكب على يدهِ الماء ويمسحُ عينيها.

- لم يعد ينقصُ إلا أن تعانقها.

علَا صوت ريما وقد جُنَّ جنونها.

- صرخَ في وجهها (**اصعدي إلى غُرفة شقيقتك أو اخرجي من المنزل**).

وقفت مدهوشة (**أنا تقول لي هكذا لأجلِ الخادمة!**).

- شكرًا لك صرتُ بخير.

خاطبتهُ ندى بصوتها المليء بالغصات، سارعت إلى غُرفتها وأقفلت الباب، كي لا تنفجرَ بالبكاء أمامهُما، كما تفعلُ عادةً عندما يغلبها الحزن، ضمت قدميها إلى صدرها بيديها وسندت رأسها على ركبتيها ودموعها كالسيل (**اهدأي، أنتِ قوية، لا تبكي، كلُ شيءٍ بخير، أنتِ أقوى من كلِ ما يحدُث**).

أبعدَ وسيم ريما عن طريقهِ بقوة، ودخلَ إلى غُرفتهِ لينام.

لأن قلبي لم يعرف الحب قبل، كان حبكِ فيه مضاعفًا، لم أتجرع مُرَّ الشوق إلا في بعدكِ، ولم أذق عَسَلَ الفرحِ إلا بلقائك.

بينما تجلسُ ابتسام مع ابنةِ خالتها إلهام تُحيكان مؤامرة، تعتني ليلى بجرحِ كريم، بعد انتهائها، أمسكها من معصمها وأجلسها بجوارِه، أخذَ يمرقُ بيديهِ لمساتٍ لطيفةٍ على خديها (لديَ الكثيرُ لأقوله، عندما اقتربت من الموت شعرتُ أن بداخلي عبءٌ لم أفصح به لأحد ورغبتي مُلحةٌ في لو أني حدثتُكِ به، لم أعرف عنكِ شيءٌ حتى الآن إلا اسمكِ، أسئلةٌ كثيرة أثارت فضولي حينها).

وضعَ رأسها برفقٍ بالقربِ من صدره، وأخذَ يداعبُ شعرها بيده (هل أخبرتكِ ابتسام من تكون؟).

- أعلم بأنها زوجتُك.

(ليست فقط زوجتي إنها ابنةُ زوجةِ أبي، لقد توفيَّت والدتي عند ولادتي، بعد مُدةٍ تزوج والدي من والدةِ ابتسام كانت مُطلقة وعمرُ ابنتها حوالي أربع سنوات، لم تُشعرني يومًا أني كابنتها، كان التمييزُ واضحًا في المُعاملة كما أنها كانت تُحرِّضُ والدي على توبيخي وعقابي دومًا، إن أخطأت ابنتها تقولُ لها لا بأس أما أنا فخطأٌ صغيرٌ بمثابةِ جُرم، توفي والدي عندما كان عُمري ثلاثةَ عشرَ عام، أجبرتني على تركِ المدرسة على الرغم من تفوقي والعمل في

المنشرةِ عند أخيها، كانت تأخذُ أجرتي مما جعلني أضطرُ أحيانًا إلى السرقة، كبرتُ قليلًا تشجعتُ حينها وقمت بشكوتُها إلى عمي الذي كان حنونًا بعض الشيء لكنهُ يحبُ زوجتهُ أكثر، لم ترغب زوجتهُ بوجودي والسبب الرئيسي هو أن زوجةَ أبي زارتها وأخبرتها مُفترية أنني أكثرُ من مرةٍ كنتُ أحاول الاقتراب من ابنتها لأقوم بفعلٍ شنيع، وشهدَت ابنتها معها على هذا، وأن زوجةَ عمي عليها الحذرُ مني بشأن بناتها إن كانت تنوي إبقائي عندها، طردتني زوجةُ عمي، اضطررت للعودة إلى المنزلِ والعملَ عند أخيها من جديد، كُل هذا ربَّى في قلبي كرهٌ لا أظنهُ سينتهي، عندما انضممت للتنظيم قمتُ بقتلها بتهمةِ أنها تحولُ بيني وبَيْنهُ ولديها أفكارٌ ضده، ابتسام كانت تحبُ شابًا، أجبرتهُ على مغادرةِ البلدة إن كان ينوي الحفاظ على حياته وتزوجتها رُغمَ أني لا أطيقها؛ فقط لأذلها وأهينها وأجعلها تكرهُ حياتها كما فعلت هي ووالدتُها بي).

رفعَ وجهها إليه ونظرَ إلى عينيها **(لم أكن بهذا السوء، كنتُ طفلًا مُسالمًا، هم من أرادوني أن أكون هكذا).**

- كنتُ أظنُ أن هذه القسوة لزوجةِ الأب موجودةٌ فقط في التلفاز.

قالت حزينة.

- هل ما زلتُ أخيفُكِ؟.

- لا.

ـ إذًا أخبريني كلَّ شيءٍ عنكِ منذُ ولدتِ إلى أن التقيتُ بكِ.

أخذت تحدثهُ عن نفسها وعندما انتهت غطّت وجهها بكفيها وبَكَت، أبعدَ يديها ومَسَحَ دموعها برفقٍ (**لا بأس، ليلى لا تبكِ، أرجوكِ لا تبكِ فأنا أحبُكِ**).

ارتجف قلبُها وارتبكت فأكملَ قائلًا (**سنخرجُ من هُنا، لن نبقى هُنا للأبد، سأسعى لنسافرَ إلى إحدى الدول الأوربية، وعندما نصل سنجدُ طريقةً لتأتي والدتكِ وشقيقكِ إليكِ**).

ـ حقًا!، يمكننا أن نخرُج !ـ غدًا سأعود للعمل، سأبحثُ في الأمر وإن وجدتُ طريقةً آمنة سنخرج، إن كنتِ لا ترغبين في البقاء معي فلا داعي لمغادرتي سأخرجكِ وحدكِ، قالها بحسرةٍ.

عانقتهُ (**لا سنخرُجُ معًا وسنبقى معًا**).

أخذَ يتنفسُها (**هل تُحبينني؟**).

ـ أنا سعيدةٌ معك، أخافُ عليك ولا أرغبُ في ابتعادك أو أن يحصلَ لك مكروه لا قدرَّ الله لا أستطيعُ تحديد مشاعري.

ـ هذه المشاعرُ تكفيني، غني لي.

ـ هل في بالكَ أغنيةٌ محددة؟ـ أجل ، لستُ حافظًا إياها لكن يقالُ فيها (**الليلُ وليلى**).

ابتسمت (**حسنًا عرفتُها**).

أفسدت حياتي برحيلك والآن تفسدُ ما تبقى منها بعودتك..

حضَّرت تولين القهوة وجلست على الطاولةِ في الحديقة تشربها، كان الجو لطيفًا (**لماذا عُدتَ يا آدم، خلفتَ داخلي مدنًا من الخراب، شوَهت قلبي حتى أصبح يُحبُكَ ويكرهُكَ معًا.. ماذا لو وضعتُ كرامتي ووفائي جانبًا وارتميتُ بين أحضانك، إنني مُتعطشةٌ إليك بالقدرِ الذي أشعرُ فيه بمرارةِ ما فعلت، لكن لا.. قرارُكَ كان أكبرَ من أن تنال الصفح، علاقتنا ليست مشهدًا في هاتفكَ تقوم ببدء تشغيلهِ وانهائه متى تشاء**).

كان شوقها كحمم بركانٍ تثورُ وسط جبلٍ من الجليد، كلما رأتهُ اشتعلت لكنها سرعان ما كانت تنطفئُ ببرودةِ ما فعل.

انتفضَ قلبها عندما رأتهُ قادمًا مع زوجها يتبادلان الأحاديث (**سيكون آدم سائقكِ الجديد**).

ألقى عليها التحية ثُمَّ ذهب إلى الغرفةِ المخصصةِ لهُ في الحديقة، جلسَ زوجها إلى جوارها.

ـ لماذا جئت؟، ابقَ عند سلمى دائمًا، إن كنتَ لا ترغبُ بالبقاءِ معي لماذا تزوجتني. تحدثت وهي تقطرُ غضبًا.

ـ ما بكِ أنتِ كلما جئت تستقبلينني بهذا الوجه العبوس.

- لأنني لستُ للتسلية وإمضاء الوقت، وبعد أن تملّ تعودُ لمنزلِ زوجتكَ الأخرى.
- مجنونةٌ أنتِ ! أنا أحبُكِ، لكن لدي أشغالٌ غير أن ابقَ في المنزلِ عندكِ وعندها.
- شبعتُ من الكلام.

نهضت ودخلت إلى الداخلِ، بينما يراقبُ آدم ما يحدثُ من غُرفته.

هل سنطوف على سطح المحيط بعد أن علقنا في أعماقه؟..

خرجَ إلي الصالة طبعَ قبلةً على جبين ليلى، ومسَّد قلبها بكلماتهِ (**سأشتاقُ لك، سأحاولُ أن لا أتأخر**).

رأتهُما ابتسام وهي تخرجُ من غُرفتها قالت في نفسها (**سأُحرقُ قلبكَ عليها كما فعلت بي حين قتلت والدتي وحرمتني من الشاب الذي أحببتُه**).

بعد مغادرتهِ بحوالي ساعة، طُرقَ بابُ المنزلِ بقوةٍ حتى كاد يُخلع، ارتدت ابتسام جلبابها ونقابها بسُرعة، ما إن فتحت حتى دخلت إلهام برفقةِ رجالٍ من التنظيم، أشارت لهم ابتسام إلى حيثُ توجدُ ليلى في غُرفتها (**إنها هُناك**).

ـ ماذا فعلت؟، ابتعدوا عني، أرجوكم، ابتسام ساعديني أخبري كريم بما حصل، اتركوني لم أفعل شيئًا.

كانت ليلى تصرخُ بهذه الكلمات وتبكي عندما اقتادوها معهُم.

إنني أضعفُ من أن أصارح نفسي بحبك، أنا بالكادِ أقوى على حملِ جسدي وترميم ذاتي.

كانت ندى تسرِّح شعرَ السيدة هالة بينما يراقبُهما وسيم سعيدًا بتحسنِ حالِ والدتهِ النفسية التي تعبت بعد أن أهملها الجميع، همست شفاء لشقيقتها (راقبي نظراتهُ إلى ندى).

دخلت ندى للاستحمام وبقيت السيدة تشاهدُ التلفاز، خلعت كنزتها كانت ترتدي تحتها بلوزة صيفية تظهرُ ذراعيها وجزءًا من صدرها، تذكرت أنها قد نسيت المنشفة الخاصة بها على الكرسي في المطبخِ بينما هي تجلبُ حاجياتها لتستحم فقد كان بابُ الحمَام داخلَ باب المطبخ، خرجت لتجلبها بسرعة قبل أن يراها أحد لكنَّ وسيم كان قادمًا بعد مغادرة ريما، نظرَ إلى الأجزاءِ الظاهرةِ من جسدها مصدومًا، كان أثرُ كل التعذيبِ الذي تعرضت لهُ مُسبقًا محفورًا على بشرتها الناعمة، مهما تناست، تلك الحروق وآثارُ الجروحِ والخدوش ستذكرُها، ارتبكت وأمسكت

المنشفة مُسرعةً لتذهب، لكنهُ أمسكها من معصمها (**ماهذا!، من الذي ارتكب بك كلَّ هذه الوحشية ؟**).

- أرجوك، اتركني.

قالتها بغصة.

خرجَ وسيم إلى الصالة شاردًا يفكر (**من الذي سيعذبُ فتاةٍ رقيقة وجميلة مثلها بهذا الشكل المريع**).

- ألم تقُل أنكَ ستعدُّ لوالدتكَ العصير؟.. خاطبتهُ شفاء.

- يا إلهي لقد نسيت ما ذهبتُ لأفعله.

- أينَ ذهبَ عقلُك!

نحن لا نحيا بأرواحنا نحن نحيا بأشخاصٍ نتنفس حُبهم، ونختنق لو ابتعدوا.

في الطريق إلى النهايةِ تبعثُ كل الذكريات من مراقدِها..

كانَ كريم يحدُ سكينهُ التي يستخدمُها في عملِه سارحًا بفكرهِ يبحثُ عن طريقةٍ ليأخذ حبيبتهُ ويرحلُ بها، قدمَ أحدُ الرجال (**سيدي لقد هيأوا الساحة لديكَ عمل**).

- ما التهمه؟ ، سأل دون أن يبدي اهتمامًا.

- امرأةً وجدنا بحوزتها هاتفًا كما أنها تتحدثُ مع أشخاص مجهولين أظنُها جاسوسة.

ذهبَ برفقةِ الرجُل لا يعلمُ بأنهُ سيقتلُ نفسه، كانَ حشدٌ من الناس في الساحة وكاميرات مُستعدةٌ للتصوير كأنهم يهيئون لتصويرِ مشهدٍ من مسلسلٍ تلفزيوني، أحضرَ رجلين ليلى و قد قُيِّد ذراعيها ويديها، نظرَ كريم نحوها وقد غطى وجههُ بقناعهِ الأسود، زاغَ بصرهُ عندما رآها (**لا بدَّ أنه يتهيأُ لي، إنها تشبهُ ليلى نفس الثياب التي كانت ترتديها صباحًا**).

اقترب منها قبلَ أن يوصلوها لمنتصفِ الساحة رفعَ وجهها الملطخ بالدماءِ نحوه (**ليلى!**).

- أنا لم أفعل شيئًا، إنني مظلومة لكن لا أحدَ يصدقُني.

تحدثت وصوتها بالكادِ يخرج.

مسحَ الدم عن وجهها وتحدثَ ملهوفًا والذعرُ يضربُ عينيه (**أنا أصدقكِ يا حبيبتي، لا تقلقي سأساعدكِ، ابقِ قوية**).

ذهبَ مُسرعًا إلى المفتي وقلبهُ يُذبَحُ ألمًا (**سيدي إنَّ هذه المرأة زوجتي، إنها بريئة أؤكدُ لك هذا، اصفح عنها لأجلي**).

- لو كانت بريئة لما حكمنا عليها، الرسائلُ في هاتفها تحوي اسمها، إنها تقوم بتسريب معلوماتٍ عنا.
- سيدي ربما هي مكيدة من أحدهم لينتقم مني.
- لقد قتلتَ المرأةَ التي كانت بمثابةِ والدتكَ لأجلِ التنظيم، والآن تدافعُ عن ساقطةٍ خائنة.
- لأنكَ تعلمُ إخلاصي لكم أطلبُ منك العفو أرجوك.

ـ اذهب وطبق الحُكم وإلَّا فأنت شريكٌ معها وستقتلان معًا، أتفضلُ الدنيا على الآخرة لأجلِ امرأة.

ـ لكن..

قاطعهُ (**اصمت لا يوجدُ مجالٌ للصفح، اذهب وطبق الحكم، كُن وفيًا كما أعرفُك**).

وضعوا ليلى على رُكبتيها، كانت تخفضُ رأسها لا تقوى على النظرِ إلى ما سيفعلوه، ترتلُ القرآن وتدعي.

أخذَ كريم يدورُ حولها يسنُ سكينه، للحظاتٍ كان ينسى ما عليهِ أن يفعلُه (**يا إلهي لا تعاقبني بها، يا رب أحدث معجزةً توقفُ ما يحدُث، يا رب افعل شيئًا**)، خطرَ في بالهِ كلُّ الأشخاص الذين طبقَ عليهم هذا الحكم سابقًا، لأولِ مرةٍ يشعرُ بشعورهم و شعورِ أحبائهم معًا (**كيفَ ستنسلُ هذه السكين في عنقها، لا أستطيعُ فعلَ هذا.. سيؤلمني بأضعافِ ما سيؤلمُها**).

تركَ ما في يدهِ، اقترب منها وعانقها كانت المرة الأولى التي يبكي فيها أمام أحدٍ منذُ كان طفلًا (**أحبكِ لنمُت معًا، ادعِ لي أن يغفر الله قبحَ ما كنتُ أفعل**)، سندت رأسها على كتفهِ كانت تختنق.

نظرَ القادةُ إلى بعضهم (**ما هذا ! ما الذي يحدُث!**).

صرخَ المفتي (**أوقفوا التصوير، اقتلوهُما**).

انطلقت زخات الرصاصِ نحوهما كأمطارِ كانون.

سقطا معًا على الأرض، أكلت الحربُ ليلى وأكلَ كريم حبهُ لها.

ابقَ لي حين يغادرُ الجميع فبرحيلك أشقى لكن برحيلهم لا أكترث فجميعهُم أنت وأنت جميعهُم.

أوصلَ آدم أكرم إلى منزلِ زوجتهِ سلمى، ما إن نزلَ من السيارة حتى أخذت زوجتهُ تعانقهُ (**أهلًا بكَ حبيبي**).

أخذَ يُقبلُها ودخلَ معها إلى المنزل، سأل آدم الحارس (**لماذا تزوج السيد إن كان يحبُ زوجتهُ هكذا؟**).

- أظنهُ يريدُ طفلًا .

كانت تولين جالسةً تُسرِحُ شعرها، لم تخرُج من المنزل منذُ أصبحَ آدم سائقُها خشيت أن

لا تستطيعَ كبحَ جماح قلبِها أكثر.

طُرِقَ الباب بقوةٍ، فتحته، إنهُ آدم (**ماذا تُريد!**).

دفعَ الباب بقوةٍ ودخلَ مغلقًا إياهُ خلفه (**ما هذا الخوفُ في عينيكِ!، هل سبقَ لي أن فعلتُ شيئًا آذيتكِ فيه عندما كُنا لوحدنا**).

- آذيتني بشيءٍ أكبرَ من هذا، اخرُج لا أريدُ أن أُحدثك.

أمسكها بيديهِ من زنديها (**أدركتُ خطأي إن الندم ينهشني، أخطأت وجلَّ من لا يُخطِئ.. تولين حبيبتي لا تعاقبي نفسكِ لتنتقمي مني**).

- أنا لا أعاقبُ نفسي، إنني متزوجة لا تُفسد حياتي التي اخترتها.
- شدَّ بيديهِ حتى آلمها (**إن حياتكِ فاسدةٌ حتى لو لم أعد، زوجكِ يحبُ زوجتهُ الأولى، إنكِ أداةٌ لتنجبي لهما طفلًا، ربما يُطلقُكِ بعد أن تُنجبي ويأخُذ الطفل إنهُ يعرفُ أشخاصًا لهم سلطةٌ في الدولة، لقد رأيتهُ بعيني كيف يعانقها ويقبلُها أنتِ مجرد وسيلةٌ ليس أكثر**).

أخذت تصرُخ بينما تحاولُ الإفلات من يديه (**ابتعد عني، اخرج، لا تمثل بأنك تخاف عليّ، أنت سبب كُلِ شيء، قتلت والدتكَ بسفاهةِ أفعالك والآن جئت لتقتلني للمرةِ الثانية**).

صفعها فغطى شعرُها وجهها (**أنا أتحدثُ لأجلكِ، رخِّصِي نفسكِ كما تشائين، تصرفي كالغبية**).

تركها وغادر المنزل، جلسَ في غُرفتهِ وأخذ يعدُّ القهوة لعل أعصابهُ تهدأ قليلًا، تنفسَ الصعداء (**آه يا أمي، رحمكِ الله يا حبيبتي**).

طُرقَ باب المنزلِ الخارجي، قام بفتحه، إنها والدةُ تولين (**خالتي لمَ لم تخبريني أنكِ تنوين المجيء لأذهبَ وأحضركِ**).

- ليسَ لي صبرٌ على انتظاركَ لتأتي، كلمتني تولين أظنها ليست على ما يُرام. تحدثت بقلق.

أخذت تطرقُ باب المنزل بينما عاد آدم إلى غُرفته، فتحت تولين كانت بالكاد تقوى على الوقوف.

- اقتربت والدتها منها (**ما بكِ يا حبيبتي؟**) وضعت كف يدها لتدسَّ حرارةَ جبينها (**يا إلهي إن حرارتكِ مُرتفعة، سأخبرُ آدم أن يحضرَ الطبيب**).

- (**لا، اتصلي بأكرم أخبريهِ أن يأتي هو ويحضر الطبيب**)، دخلت إلى غُرفتها واستلقت في الفراش كانت ترتجفُ بردًا.

أمسكت الوالدة هاتف ابنتها وقامت بالاتصال بأكرم الذي اعتذرَ عن المجيء بحجةِ أن لديهِ اجتماعٌ في العمل، بينما كان يستعدُ مع زوجتهِ للخروج لحضور حفلةٍ لرجال الأعمال وطلب من والدتها أن تعتني بها.

ذهبت إلى آدم الذي ظهرت عليهِ اللهفة عندما سمعَ أنها مريضة وذهبَ مُسرعًا لإحضار الطبيب.

وخزها الطبيب بإبرةٍ لتنخفض حرارتها، سهرَ آدم طوال الليل في صالةِ المنزل، كلُّ قليل يدخل إلى الغرفةِ حيثُ كانت والدتُها ويطمئنُ إلى حالها.

حلَّ الصباح كانت والدتُها نائمة على الأريكةِ بجوار السرير، اقترب من تولين وجلس بجوارها كانت مستيقظة (**الحمد لله على السلامة، كيفَ أصبحتِ؟**).

أدارت وجهها إلى الجهةِ المعاكسة وأغمضت عينيها، قبَّلَها على خدها (**لم أقصد أن أزعجكِ، نبهتكِ لأنني أخافُ عليكِ، أنا متأسف**).

يلكزُ الماضي رحم حزني فيؤلمني مخاض الدموع، يلكمني ما حدث كأنني أركضُ بكرسي ألمي العاجز هربًا فيتعطلُ في منتصفِ الطريق.

كانت ندى تجلسُ بجوار السيدة هالة تشاهدان برنامجًا لرقص الباليه بينما عاد وسيم من عمله، وضعَ أكياس الطعامِ الجاهزِ في المطبخ وجلسَ بقربهما على الأريكةِ قبل أن يدخلَ إلى غُرفتهِ.

كأنني أرى في عينيكِ شغفًا لهذا النوع من الرقص. خاطبت العجوز ندى.

ـ أجل، كنتُ سأدرسُ في معهدِ الفنون المسرحية لكن الظروف لم تسمح لي.

كانت شفاء تسكنُ في الطابقِ العلوي، نادت ريما وسيم (**تعالَ قليلًا شفاء تريدُ أن تُحدثكَ**).

صعد إليها، اقتربت منهُ وعانقتهُ (**اشتقتُ لك**).

ـ أينَ هيَ شفاء؟ ابتعدي كي لا ترانا.ـإنها نائمة في الداخل، ناديتُ عليك كي نبقَ لوحدنا.

دخلا إلى إحدى الغرف وبعد أن أمضيا بعض الوقت (**أشعرُ أن شيئًا ما يشغلُ بالك؟**) تحدثت ريما وهي تداعبُ شعرهُ بيديها.

ـ رأيتُ ندى في المرةِ الماضية، كانت خارجةً من الحمام وظهرتُ أمامها عن طريق الخطأ إن جسدها عليهِ آثارُ تعذيبٍ بطريقةٍ وحشية، تُرى ما الذي سيكون قد تعرضت له؟حاولت أن تتحدثَ بأسلوبٍ عادي كي تُخفي غيظها (**أنا لستُ مرتاحةً لها، ربما وراءها قصةٌ ما قُم بطردها وأحضر خادمةً أُخرى كي لا تتسبب لكم بالمشاكل**).

ـ سأنزلُ إلى الطابق السفلي كي لا يكشفَ أمرُنا تأخرتُ هُنا، أيقظي شفاء وتعالا لتناول الغداء.

جلس الجميع في الصالة، كانت ندى تعدُ الغداء في المطبخ، تبعتها ريما بحجةِ أنها تريدُ أن تشرب الماء.

خاطبت ندى بسخريةٍ (**ماذا تظنين نفسكِ فاعلة؟**).

- لم أفهم، ماذا فعلت؟ (لا تتظاهري بالبراءة أخبرني وسيم أنكِ قد ظهرتِ أمامهُ بجسدٍ مكشوف لتلفتين انتباهه، وأخبرني أيضًا أن جسدكِ مثيرٌ للاشمئزاز بطريقةٍ مُقرفة).

قسمت هذه الكلمات قلبها إلى نصفين فزادت ضرباته (لا، أقسمُ أنني لم أقصد أن أفعل هذا).

أخذت كأس الماء دون أن تلتفتَ لها، بالكاد ضبطت ندى نفسها حتى أتمت تحضير الغداء وبعد أن انتهت من وضع الأطباق على المائدة، ومساعدةِ السيدة في الجلوس على الكُرسي (سأرتاحُ في غُرفتي قليلًا ريثما تنتهون).

- ألن تأكلي؟ (سألها وسيم). - لا، لستُ جائعة.

دخلت إلى غُرفتها، لم يتناول وسيم إلى القليل من الطعام ثم استأذن منهم، غسلَ يديه وطرقَ باب غُرفةِ ندى، كانت تقفلُ الباب على نفسها حتى في النهار ربما لأنها قد اعتادت البقاء في أماكن مغلقة ويصعبُ عليها التلاؤمَ مع حريتها بشكلٍ مناسب.

فتحت الباب، وقد احمرَ بياض عينيها وأنفها (أهلًا سيد وسيم).

- أولًا أنا وسيم فقط ولستُ سيد، ثانيًا ما الذي يبكيكِ؟- لستُ أبكي، أريدُ أن نتحدثَ في موضوعٍ لو سمحت.

دخلا للحديثِ في الداخل أبلغتهُ عن رغبتها في تركِ العمل، حاولَ أن يعرفَ السبب دون إيضاحٍ منها، لكنهُ لم يسمح لها، قالَ مازحًا (**كيفَ سيكون نهاري وليلي دون أن أرى عينيكِ**).

أطالَ النظرَ إليها بطريقةٍ أربكتها ثُم سأل (**لدي فضولٌ أن أعرف عن مصدر تلك الآثار في جسدك، أخبريني إن أذاكِ شخصٌ ما أو إن كان أحدٌ يهددكِ سأنتقمُ لكِ منه**).

- كنتُ سبيةً لحوالي سنتين لدى تنظيم داعش.

ضربت كلماتُها قلبهُ كصاعقةٍ كهربائية (**أنا آسف على سؤالي، لم أقصد**).

- لا داعي للاعتذار يبقَ الحديثُ عن الأمرِ رحمةٌ مقارنةً بحدوثه، لا أريدُ لأحدٍ أن يعرف لو سمحت لا أحبُ أن أعاملَ بشفقة.

- لا تقلقي سيبقى الأمر بيننا، وأنا لستُ من النوع الذي يشفق على أحد.

خرجَ إلى الصالة، كانوا قد أنهوا الطعام، خاطبت شفاء ريما (**اندهِي للخادمة كي تأخذَ الأطباق وتغسلهم**).

- للمرة الألف قد قلتُ لكما أنها فقط لتعتني بوالدتي، وليست خادمة للمنزل. (**خاطبهُما بغضبٍ**).

وما أجملهُ من صباحٍ أشرقت فيهِ الشمسُ من سماءِ عينيك لتنير قلبي..

خرجت تولين من المنزل وجلست في الحديقة تنتظرُ آدم الذي ذهبَ لإيصال والدتها بعد أن أمضت عندها يومين حتى تحسن حالُها، عاد آدم ، نزل من السيارة (**كيف حالكِ اليوم؟**).

- بخير أريدُ أن أطلبَ منكَ طلبًا إن أمكن.
- لا ليس بإمكانكِ أن تطلبي، بإمكانكِ أن تأمري.
- عندما يأتي أكرم أخبرهُ أنني ذهبتُ مرتين للطبيبة، وأنني أخبرتك بأني حامل.
- لماذا!، هل ستستجدين عطفه؟_لهذه الدرجة تراني بلهاء كي أفعل هذا، (**تحدثت ساخرةً ثم دخلت للمنزل**).

أخذت تلون وجهها بمكياج بطريقةٍ أظهرت نفسها كأنها كانت تبكي ومنهارة الأعصاب، ما إن جاء أكرم حتى توجهَ نحوها وتحدقت عيناه متسعتين فرحًا (**حبيبتي مباركٌ لنا هل حقًا ما سمعتُه؟**).

- عن ماذا تتحدث، (**أجابت بصوتٍ حزين**).

صُدِمَ عندما رأى وجهها (**ما بكِ؟ ألستِ حامل؟، هل حدث شيءٌ للجنين**).

(**سأُخبرُكَ بكلِ شيء لكن لا تغضب أرجوك فبداخلي حزنٌ يكفيني**)، أخذَ ينظرُ منصتًا دون أن يرمشَ بعينيهِ حتى (**لقد كنتُ حاملًا لكن زعجني إهمالك وتجاهلكَ فقررت التخلصَ من الجنين،**

وعندما أجهضتهُ أخبرتني الطبيبة أنه قد حصلَت معي مُشكلاتٌ ليست في الحسبان ولن أتمكنَ من الإنجابِ بعد الآن).

اقترب منها وأمسكها من شعرها وهو ينفثُ غضبهُ كالنار المشتعلة (**من أذنَ لكِ بفعلِ هذا أيتها الوضيعة؟**).

- اترك شعري، اتركني أيها الوغد، تهملني طوال الوقتِ وتريدُ طفلًا.

أخذت تصرخُ محاولةً إبعاده وهي تضربهُ بيديها.

دفعتهُ بقوةٍ لمراتٍ متتالية بينما ثبتها على الأرض وانهال عليها بالصفعات (**أسكنتكِ بمنزلٍ لن تسكني بمثلهِ في حياتك، رفعتُ قدركِ السفيه أنتِ ووالدكِ الأبله**).

وبعد أن فرَّغَ غضبه (**إن كنتِ تريدين الطلاق عليكِ التخلي عن جميعِ حقوقكِ، هل فهمتِ؟، ولا تحاولي تحصيل شيء مني فلدي رجالٌ يستطيعون سلب والدكِ منزله**).

خرج كالأعمى من المنزلِ يكادُ يتخبطُ بالجُدران، نظرَ إلى آدم الذي يجلسُ أمام غُرفتهِ.

- لم تعد تلزمني كسائقٍ، كلمني في وقتٍ آخر لأعطيك أجرك.

ركب سيارتهُ وذهبَ بها.

- تُرى ما الذي حدث ؟، لماذا كلمني هكذا؟طُرِقَ بابُ المنزلِ بينما كانت تولين تغسلُ وجهها الذي تصبَّغ بضرباتِ أكرم، فتحت لهُ

ما بكِ ماذا حدث؟، هل ضربك! (سألَ ملهوفًا).

ارتمت بينَ ذراعيهِ وعانقتهُ عناقًا حميمًا وهي تبكي فشدها إليهِ حتى كاد يحطمُ أضلعها.

- لقد اشتقتُ لك يا حبيبي.

دغدغت هذه الكلمات قلبهُ.

- وأنا أيضًا لكن هل ضربكِ، ماذا حدث؟-لا يهمُ ما حدث المهم أننا سننفصل، هل سيعودُ كل شيءٍ كما كان؟-بالطبع سنكملُ أحلامنا من حيثُ توقفت.

انفصلت تولين عن أكرم، توظفَ آدم في شركةِ يمان وهيأَ منزلَ عائلتهِ على أكملِ وجهةٍ لاستقبال الفتاة التي تربعت على عرشِ قلبهِ منذُ زمن.

تلك النقوش المطرزة زادها جمالُ جسدكِ المحفورةُ عليهِ بهاءً.

تلك الزخارفُ تروي عظمةَ صمودكِ يا جميلتي.

طلبت والدةُ وسيم منهُ أن يحضرَ ثيابًا منزليةً لندى كهديةٍ منها، أخبرَ ريما لتساعدهُ في الاختيار وذهبا سويًا، عملَتْ على اقناعهِ بأن يأخذَ ثيابًا صيفية تظهرُ أجزاءً من الجسد.

عادا إلى المنزل، كانت شفاء والسيدة هالة تجلسان في الصالة.

- هل أحضرتَ ما طلبتهُ منك؟ (**سألتهُ والدتهُ**) - أجل، سأعطيها إياهم.
- اجعلها تجربهم وتأتي أريد أن أراها.

قامت ريما لتذهبَ معهُ (**ابقِ هُنا لا داعي لأن تأتي**).

أخذت تتهامسُ هي وشقيقتها في اتفاقٍ للسخريةِ من ندى.

طرقَ الباب ففتحته (**أريدُ أن نتحدث**).

جلس معها على طرفِ السرير (**هذه الثياب هديةٌ من والدتي تريدُكِ أن ترتديهم وتأتي لتراهم عليكِ**).

أخرجت الثياب إنهُ اللون الخمري، لونها المفضل، لكنها لم ترتديه منذُ زمن، أصبحَ غريبًا عليها لكن لا بأس (**لا أستطيعُ أن أخرج بهذه الثياب سأرتديهم في غُرفتي فقط، إنهم في غايةِ الجمال، شكرًا**).

- لماذا لن تخرجي بهم!.
- كي لا يحدثَ كما حدثَ عندما رأيتني في المرة الماضية. (**أخفضت رأسها حزنًا**)

ـ ما الذي حدثَ في المرةِ الماضية لم أفهم.

ـ لا أريدُ أن أثيرَ اشمئزازكَ بمنظرِ ما سيظهرُ من جسدي.

ـ مجنونةٌ أنتِ! ما هذا الكلام.

أمسكَ بيدها كما لم يفعل من قبل وقام برفع كنزتها حتى ظهرَ نصفُ ذراعها، أخذَ يمررُ أصابعهُ على تلكَ الآثار وقبلها .

أبعدت يدها بارتباكٍ وأخفضت رأسها خجلًا، (**ارفعي رأسكِ وانظري إلي**).

ما إن رفعت رأسها حتى لاحقَ عينيها بعينيه (**أحبكِ**).

ـ أرجوك لا تتعامل معي بإشفاقٍ. (**تحدثت بغصة**)

ـ قلتُ لكِ مُن قبل أنا لا أشفق، لدي سؤالٌ قبل خروجي أشعرُ بأنكِ تبادلينني الشعور هل هذا صحيح أم أن حدسي مُخطئ.

صمتت دون إجابة (**أجيبي، إن كنتُ مخطئًا أخبريني**).

ـ حدسكَ صحيح لكني لستُ أهلًا لأن أُحب. (**قالتها وهي تتجنبُ النظر إليه**).

ـ لا يهمني ما حدثَ في السابق يهمني الحاضر، سأخرج، ارتدي الثياب واتبعيني.

بينما يجلسُ الجميعُ في الصالة، قدمت ندى ترتدي تلك الثياب، كانت تبدو فائقةَ الحسن وجسدها مصقولُ بطريقةٍ جذابة.

السيدة: يا ابنتي تبدين رائعة.

تناوبت شفاء وريما بالكلمات (**يا إلهي ما حالُ بشرتكِ مشوهةٌ هكذا! .. تحتاجين لمئةِ عملية تجميل وربما أكثر.. إنهُ منظرٌ مُقزز**).

التفتت لتعود مكسورة الخاطر فأمسكها وسيم من يدها وشدها نحوه ثُمَّ نظرَ إليهما باستياءٍ (**هل انتهيتما من هذه السخافة؟**).

نظرتا إليهِ بغضبٍ، كادت ريما تنفجرُ من الغيرة، فأكملَ قائلًا (**أنا أحبُ ندى وسأتزوجها، لا أسمحُ لأحدٍ بأن يسيء لها كما أنني لم أرَ أحدًا في جمالها**).

سقطت كأسُ شرابِ التوت التي في يدِ ريما، وفتحت شفاء فمها كأنها تعرضت لصعقةٍ كهربائية ثم نظرت إلى السيدة هالة التي قالت بابتسامةٍ (**لقد أخبرني منذُ مدة أنهُ يحبها وهي فتاةٌ تستحق**).

- هل ستتزوجها لأنها ستعتني بوالدتك!، أهذا سببٌ لتتزوجها، صرخت ريما بحدةٍ.

ـ لا سأتزوجها لأنها تسكنني، أريدها أن تتم دراستها، سأحضرُ خادمةً لتساعدَ والدتي وتعتني بالمنزل.

نظرت ندى إليهِ بدهشةٍ، فأمسكَ يدها وقبَّلَها (**ألم تلحظي أنني لم أكن أستطيعُ مفارقةَ النظرِ إليكِ!**) .

خاطب شفاء (بالنسبة للدَرج الواصل بين الطابق العلوي والسفلي سأقوم بإزالته فلا أريدُ لأَحدٍ أن يزعجَ والدتي وزوجتي سيكون لكم الباب الخلفي ونحن الباب الأمامي.

ردت شفاء غاضبةً: ليس من حقكَ أن تقررَ لوحدك.

وسيم: لقد أخبرتُ شقيقي ووافق.

لم تستطع ريما تحمُلَ نفسها أكثر توجهت نحوهُ وأخذت تضربهُ بيديها على صدره، فأمسك يديها بقوةٍ (**تعلمين منذُ البداية أن علاقتنا ليست جدية ولم أرد أن أنهيها بهذه الطريقة لكنكِ بالغتِ في الإساءة للفتاة التي أحبها**).

خرجت من المنزلِ ووجهها يقطرُ سمًا، وصعدت شفاء إلى الطابقِ الخاص بها.

كان يحبها بصمتٍ لم يفهمهُ أحدٌ سواه، لم يشأ أن ينهي علاقتهُ بريما بهذا الأسلوب لكنه وجدَ بأنها تستحقها بقدرِ ما أخطأت بحقِ ندى وتكبرت عليها.

شرخٌ في الذاكرة تتسربُ منهُ الذكريات ولا تنتهي..

تزوج يمان من سحر وأقاما في دبي، طبعت قبلةٌ على خده (**حبيبي سأذهبُ لزيارة جارتنا صفاء لن أتأخر**).

وضعَ على أحدِ قنوات الأخبار العراقية كما اعتاد أن يفعل منذُ علم أن ليلى هناك، قرأ أخبار حول تقدم الجيش والقوات والإيشاك على دحر تنظيم داعش بالكامل، كانت المنازل مهدمة كأنها قطعُ ثيابٍ مزقتها الفئران (**أين ستكون ليلى من كلِ هذا الخراب!، هل يعقلُ أنها في المخيمات التي هربَ إليها الأهالي، أو من بين الأسرى الذين تم الإفراجُ عنهم**).

أمسك حاسوبه المحمول، دخل إلى حسابهِ على الفيس بوك، أخذَ ينشرُ عن ليلى في صفحات الأخبار، مخبرًا أنها كانت أسيرةً لدى التنظيم ويسأل إن كان أحدٌ يعلمُ خبرًاعنها مُرفقًا صورتها.

من بين ألفِ تعليق يدعون لها بالعودة سالمة، جاءهُ الرد القاتل من ابتسام التي كانت تشربُ الشاي في منزلها الجديد في ألمانيا وأجابت بكل بلادة (**هذه الفتاة أعدمها التنظيم منذُ قرابةِ عام**).

- هل أنتِ مُتأكدة ؟ سألها

- بالطبع كنتُ شاهدةً على الحادثة.

للحظاتٍ مرَّت في باله كل لحظاتهما معًا، جنونها، ضحكتها، صوتها وهي تُغني، مسحَ دموعه (**ليرحمها الله**).

٢١/٢/٢٠١٨

لم يكُن صمودي إرادةً بقدرِ ما كان ثأرًا، لم يكن قوةً بل ردات فعلٍ مضادة.